

الاصحاح



ظاهرة التكفير .. الأسباب والعلاج والآثار



مؤتمر ظاهرة التكفير .. الأسباب .. الآثار .. العلاج

المحور ٣ - البحث ١٦

التحذير من الغلو في ضوء القرآن الكريم

أ.د. بدر بن ناصر البدر

الأستاذ بكلية أصول الدين

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا
 ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له،
 وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله:
 ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (آل
 عمران: ١٠٢)، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ
 وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ
 وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النساء: ١)، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا
 اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا، يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ
 اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب: ٧٠-٧١).. أما بعد:

فإن أعظم نعمة يمن الله بها على عبده هي نعمة الإسلام والإيمان، كما
 قال تعالى: ﴿بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ﴾. هذا الدين العظيم
 الذي حوى كل خير، واشتمل على كل ما يصلح أحوال البشر في صغير
 الأمور وكبيرها، وحرّم عليهم ما يعود عليهم بالسوء والضرر في العاجل
 والآجل، وجعل شريعته كاملة صالحة لكل زمان ومكان، مصلحة لأحوال
 الأفراد والمجتمعات، تدعو إلى الصلاح والاستقامة والعدل، وتنبذ الشرك
 والشر والظلم والجور والغدر.

لقد أبان رسولنا - عليه الصلاة والسلام - ما نزل عليه من ربه بيّناً
 كاملاً شاملاً، تركنا على مثل البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا
 هالك، فهو المنّة المسداة والرحمة المهداة، يقول تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى
 الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ
 الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ وقال تعالى: ﴿وَمَا

أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿٢٥٦﴾ .

وجاء دين الإسلام محققاً مقاصد عظيمة يجب أن يتعلمها كل مسلم ومسلمة، هي حفظ الضرورات الخمس: حفظ الدين، وحفظ النفس، وحفظ العقل، وحفظ العرض، وحفظ المال، وما فتئ العلماء العارفون يبنون الأحكام والمسائل المرتبطة بهذه المقاصد العظيمة، فلما غاب العلم وتفشى الهوى والجهل وكثرت الشبهات، ظهرت الفتن والهرج والقتل، دون مراعاة لهذه المقاصد .

إن ظاهرة الغلو وما يرافقها من المصطلحات الأخرى مرفوضة في الإسلام وما قبله، بجميع صور الغلو وأشكاله، سواء على مستوى الأفراد أو الجماعات؛ لما له من أضرار ونتائج سيئة في العاجل والآجل، على المستوى العام أو الخاص .

ولهذا جاءت نصوص الكتاب والسنة محذرة من الوقوع فيه وسلوك منهجه والتعامل وفق مبادئه، وأمرت في المقابل بالعدل والقصد والسداد، مبينة خصائص هذا الدين وقواعده، ومنها: الوسطية واليسير، والسماحة، ورفع الحرج والضيق، والنهي عن التشدد والعنف والتطرف .

وهذا ما أردت الكتابة عنه في هذا البحث " التحذير من الغلو في ضوء القرآن الكريم "، متقدماً به إلى المؤتمر العالمي عن ظاهرة التكفير، والذي تقيمه جائزة الأمير نايف بن عبد العزيز آل سعود العالمية للسنة النبوية والدراسات الإسلامية المعاصرة، وذلك في المحور الثالث: أ - الغلو في الدين .

وقد جاءت خطته كما يأتي:

المقدمة .

المبحث الأول: تعريف الغلو في اللغة والاصطلاح، وفيه مطالب:

المطلب الأول: الغلو في اللغة.

المطلب الثاني: الغلو في الاصطلاح .

المطلب الثالث: الغلو عند الأمم السابقة.

المبحث الثاني: مرادفات الغلو، وفيه مطالب:

المطلب الأول: التنطع .

المطلب الثاني: التعمق.

المطلب الثالث: التشدد.

المطلب الرابع: التعتت.

المطلب الخامس: التطرف .

المطلب السادس: العنف.

المطلب السابع: التحمس .

المبحث الثالث: نهي القرآن الكريم عن غلو أهل الكتاب .

المبحث الرابع: النهي عن الغلو في السنة .

المبحث الخامس: أسباب الغلو .

المبحث السادس: نتائج الغلو وآثاره .

المبحث السابع: علاج الغلو .

الخاتمة .

ثبت المصادر والمراجع.

وسأسير في كتابته – إن شاء الله تعالى – حسب المنهج الآتي:

- كتابة الآيات بالرسم العثماني .
- عزو الآيات إلى سورها، ذكراً اسم السورة ورقم الآية.
- تخريج الأحاديث، مكتفياً بالصحيحين أو بأحدهما إن كان الحديث فيهما، فإن لم يكن خرّجته باختصار من غيرهما.
- لن أترجم للأعلام الوارد ذكرهم في البحث، خشية الإطالة .

- عزو الأقوال إلى أصحابها وتوثيقها من كتبهم، فإن لم أستطع وثقتها من المصادر والمراجع الأخرى.
 - ذكر تفاصيل المصادر والمراجع في ثبت مستقل في آخر البحث.
- وبكل حال فإنني لا أدعي الإحاطة بكتابتي في هذا الموضوع ولا شمول البحث فيه، لما يعتريني من النقص والقصور والخلل، ثم لتشعب الموضوع وسعته.
- كما أنني أعترف بفضل وجهد من سبقني في الكتابة في هذا الموضوع، جعل الله تلك الجهود في ميزان الجميع، رفعة للدرجات وتكفيراً للسيئات وزيادة في الحسنات، كما أسأله تعالى أن يمنحنا الفقه في الدين واتباع سنة سيد الأولين والآخرين - عليه الصلاة والسلام - وأن يقي بلادنا وبلاد المسلمين الشرور والفتن ما ظهر منها وما بطن، وأن يحفظ ولاية أمرنا وعلماءنا والمسلمين عموماً من كل سوء ومكروه.
- وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

المبحث الأول الغلو في اللغة والاصطلاح

المطلب الأول الغلو في اللغة

تدور الأحرف الأصلية لهذه الكلمة ومشتقاتها على معنى واحد، يدل على: مجاوزة الحد والقدر وتعديه.

قال ابن فارس: (الغين واللام والحرف المعتل: أصل صحيح يدل على ارتفاع ومجاوزة قدر، يقال: غلا السعر يغلو غلاءً، وذلك ارتفاعه، وغلا الرجل في الأمر غلواً إذا جاوز حده)^(١).

وقال الجوهري: (وغلا في الأمر يغلو غلواً، أي: جاوز فيه الحد)^(٢).

وقال ابن منظور: (وأصلُ الغلاءِ الارتفاعُ ومُجاوزةُ القَدْرِ في كلِّ شيءٍ، وغلا في الدين والأمر يغلو غلواً: جاوز حده)^(٣).

(١) معجم مقاييس اللغة ٤ / ٣٨٧.

(٢) الصحاح، ٦ / ٢٤٤٨، مادة: غلا.

(٣) لسان العرب، ١٥ / ١٣١ مادة (غلا).

المطلب الثاني الغلو في الاصطلاح

اجتهد العلماء في وضع تعريف للغلو في عبارات موجزة، ومن ذلك:

- قال الراغب: (الغلو: تجاوز الحد، يقال ذلك إذا كان في السعر غلاء، وإذا كان في القدر والمنزلة غلو)^(١).
 - قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (الغلو: مجاوزة الحد، بأن يزداد في الشيء في حمده أو ذمه على ما يستحق ونحو ذلك)^(٢).
 - قال السمين الحلبي: (قيل معناه: لا تجاوزوا فيه القدر الذي حد لكم، وأصل الغلو: المجاوزة للشيء والزيادة، وقيل معناه: لا تشددوا على الناس فتتفروهم)^(٣).
 - قال النووي: (الغلو: هو الزيادة على ما يطلب شرعاً)^(٤).
 - قال الحافظ ابن حجر: (المبالغة في الشيء والتشديد فيه بتجاوز الحد)^(٥).
 - قال السيوطي: (الغلو: الإفراط ومجاوزة الحد، ومنه غلا السعر)^(٦).
 - وقال المناوي: (الغلو: تجاوز الحد)^(٧).
- وهذه التعاريف متقاربة، تفيد أن الغلو: هو تجاوز الحد الشرعي، وذلك بالزيادة فيه، أو المبالغة إلى الحد الذي يخرج عن الوصف الذي أراده الشارع الحكيم العليم الخبير، وذلك لأن الحق واسطة بين الإفراط والتفريط.

(١) المفردات ٣٦٤.

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم، ١ / ٣٢٨.

(٣) عمدة الحفاظ ٣ / ١٧٢.

(٤) الفواكه الدواني ١ / ١٢٥.

(٥) فتح الباري، ١٣ / ٢٧٨.

(٦) الإقتان ١ / ١٣٥.

(٧) التعاريف ١ / ٥٤٠.

قال الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب في بيان ضابط للغلو: (وضابطه: تعدي ما أمر الله به، وهو الطغيان الذي نهى الله عنه في قوله: ﴿وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحُلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي﴾ (سورة طه: من الآية ٨١) ^(١). والخير كل الخير في التوسط والتوازن بين الغلو والتقصير، أو بين الإفراط والتفريط، أو بين الطغيان والإخسار كما جاء في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ، أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ، وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ (سورة الرحمن، الآيات ٧-٩). والطغيان هو: تجاوز حد الوسط إلى جانب الغلو والإفراط، والإخسار هو: تجاوزه إلى جانب التقصير والتفريط ^(٢).

قال عمر بن عبد العزيز في كتاب أرسله إلى رجل يسأله عن القدر: (وقد قصر قوم دونهم - أي دون الصحابة - فجفوا، وطمح عنهم أقوام فغلوا، وإنهم بين ذلك لعلى هدى مستقيم) ^(٣).

وقال الحسن البصري: (سننكم - والله الذي لا إله إلا هو - بينهما، بين الغالي والجافي) ^(٤).

وقال ابن القيم: (ما أمر الله بأمر إلا وللشيطان فيه نزغتان: إما إلى تفريط وإضاعة، وإما إلى إفراط وغلو، ودين الله وسط بين الجافي عنه والغالي فيه، كالوادي بين جبلين، والهدى بين ضلالتين، والوسط بين طرفين ذميين، فكما أن الجافي عن الأمر مضيع له، فالغالي فيه مضيع له، هذا بتقصيره عن الحد، وهذا بتجاوزه الحد) ^(٥).

(١) تيسير العزيز الحميد ٢٥٦.

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن ١٧ / ١٥٥.

(٣) رواه الدارمي في سننه - المقدمة - باب في كراهية أخذ الرأي - ١ / ٧٧ رقم ٢٢٠.

(٤) المصدر السابق.

(٥) مدارج السالكين ٢ / ٤٩٦.

المطلب الثالث

الغلو عند الأمم السابقة

الغلو في الدين آفة قديمة ابتليت بها الأمم من قبلنا، كما بليت بها هذه الأمة، وذلك أن سبب بعثة نوح - عليه السلام - إلى قومه وجود الغلو فيهم بالصالحين، حيث كان الغلو سبباً في كفرهم وشركهم مع الله في عبادة غيره، فقد غلا قوم نوح قبل مجيئه إليهم في رجال كانوا صالحين، غلو في محبتهم حتى عبدوهم من دون الله، ثم صوروا لهم أصناماً تكون رمزاً لعبادتهم، حتى ظهرت بدعتهم إلى جاهلية العرب قبل مجيء الرسول ﷺ، كما قال تعالى: ﴿ وَقَالُوا لَا تَدْرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وُدَّ وَلَا سُوَاعاً وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسراً ﴾ (سورة نوح: الآية ٢٣).

وقد روى البخاري عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أنه قال في هذه الآية: (صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعد، أما ود فكانت لكلب بدومة الجندل، وأما سواع فكانت لهذيل، وأما يغوث فكانت لمراد ثم لبني غطفان...، وأما يعوق فكانت لهمدان، وأما نسر فكانت لحمير لآل ذي الكلاع، وهي أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصاباً وسموها بأسمائهم، ففعلوا فلم تُعبَد، حتى إذا هلك أولئك وتسخَّ العلمُ عبُدت) (١).

وقد جاءت آيات تبين غلو أهل الكتاب في دينهم، والقصد من ذلك هو

(١) رواه البخاري في صحيحه كتاب التفسير - باب قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا لَا تَدْرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وُدَّ وَلَا سُوَاعاً وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسراً ﴾ (نوح: الآية - ٢٣) ٨ / ٦٦٧ برقم ٤٩٢٠.

تحذير هذه الأمة من داء الغلو العضال، قال تعالى ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ ﴾ (سورة النساء، من الآية ١٧١)، وقال تعالى ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ ﴾ (سورة المائدة، من الآية ٧٧).

وللأمة المسلمة سمة بارزة هي الوسطية والاعتدال، قال تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ (سورة البقرة: من الآية ١٤٣).

فمن شاد الدين وغالبه فقد خالف مقصد الشارع من التشريع، كما خرج عن سمة الأمة: العدل والوسطية.

إنه لا تلازم بين التمسك بالنصوص والغلو؛ فقد كان الصحابة رضي الله عنهم أشد الناس تمسكاً بالدين واتباعاً لنصوص الشريعة، ومع هذا لم يحصل منهم غلو أو تشديد، خلا في قضايا عينية في حياة النبي ﷺ أرشد عليه الصلاة والسلام أصحابه إلى التوسط فيها، وعلمهم وبين لهم طريق العبادة المعتدل فانتهوا، وسيأتي له أمثلة إن شاء الله تعالى.

وقد وافق هذا الاستمساك منهم - رضي الله عنهم - علم صحيح، وفهم سليم، وهمة حريصة على العلم والبصيرة، والعمل والتطبيق، فنجوا من الغلو فضلاً عن الاستمرار فيه، لكن لما بعد الناس عن زمان الأفاضل، وصار الدين غريباً، وأطبق الجهل على كثير من أهل الإسلام، صار المتمسك بسنة المصطفى ﷺ العاضُّ عليها بنواجذه منبوذاً مستهزأً به في تلك المجتمعات، وأطلقوا عليه عبارات النبز كالمتمزتين والغالين والمتطرفين، ونحوها من الألقاب التي روجتها بعض وسائل الإعلام ودعاة السوء.

والواقع أن التمسك بنصوص الكتاب والسنة، وفهمها فهماً صحيحاً يعد عند هؤلاء المتهاونين بأحكام الشريعة الغافلين عنها غلواً وتطرفاً، وذلك بالنظر إلى ما هم عليه من تفريط ظاهر، وقصور في إظهار منهج الإسلام

وتطبيقه في حياتهم .

فالمقصرون يلمزون المتمسكين بالغلو والتطرف أو التشدد، ويرون أن ما هم عليه هو اعتدال الإسلام وتوسطه، وهو في الحقيقة ليس كذلك ؛ بل هو التقصير والتفريط في بعض شعائر الإسلام وأحكامه، أما الاعتدال والتوسط حقاً فهو في دين الله ومنهاج دينه والتمسك به، ولا يخفى أن من يتهم أحداً بالتطرف أو الغلو ونحوهما، غايته التنفير والتحذير منهم، وليس لكونهم متجاوزين حدود الشريعة ووسطية الإسلام .

المبحث الثاني مرادفات الغلو

المطلب الأول : التنطع

مأخوذ من النَّطْع، وهو الغار الأعلى من الفم، ثم استعمل في كل تعمق قولاً أو فعلاً^(١)، قال ابن فارس (والتنطع في الكلام التعمق)^(٢)، وقال الجوهري (وتنطع في الكلام أي: تعمق فيه)^(٣)، وقال ابن منظور (والتنطع في الكلام التعمق فيه... المتنطعون هم المتعمقون المغالون في الكلام)^(٤). وفي الاصطلاح: هو التكلف المؤدي إلى الخروج عن السنة، وهو داء لا دواء له إلا بتركك إياه برمته^(٥). وقد روى مسلم عن ابن مسعود - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال (هلك المتنطعون)، قالها ثلاثاً، قال النووي في شرحه للحديث: (أي: المتعمقون المجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم)^(٦).

والملاحظ أن النبي ﷺ قد استعمل هنا لفظة (الهلاك) كما استعملها في حديث النهي عن الغلو، مما يدل على أن معنى التنطع قريب من معاني الغلو، وفيه إشارة أيضاً إلى عاقبة الغلاة والمتنطعين في أمور الدين، وكفى بهذا زجراً وترهيباً .

وقد يكون التنطع بمعنى التعنت في السؤال عن عويص المسائل التي يندر وقوعها حتى يفضي بالمسؤول إلى الجواب بالمنع بعد أن يفتى بالإذن، وقد نبه

(١) النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ٧٤/٥.

(٢) معجم مقاييس اللغة ١٠٢٢.

(٣) الصحاح ٣ / ١٢٩١.

(٤) لسان العرب ٨ / ٣٥٧.

(٥) إعاة الطالبين ١ / ١٠٤.

(٦) شرح النووي لصحيح مسلم، كتاب: العلم - باب: النهي عن أتباع متشابه القرآن ١٦ / ٢٢٠.

القرآن الكريم على هذا الأمر، فقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبَدَ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ وَإِنْ سَأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبَدَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ (سورة المائدة، الآية ١٠١) .

فالآيات والأحاديث السابقة تهدف جميعها إلى اتباع منهج التسهيل والتخفيف والبعد عن التتبع والتدقيق في فروع المسائل والقضايا حتى لا يتم تجاوز اليسر إلى العسر والخروج من السعة إلى الحرج الذي نفاه الله في قوله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ (سورة الحج، من الآية ٧٨)، ومما لا ريب فيه أن سلوك مسلك التتبع يدفع إلى التشدد في الأمور الصغيرة والضيق بكل مخالف فيها، عكس ما تجلبه السماحة واليسر من أسباب الوفاق والوئام.

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: (إياكم والتبذع، وإياكم والتتبع، وإياكم والتعمق، وعليكم بالدين العتيق)^(١).

قال ابن حجر: (وفيه التحذير من الغلو في الديانة، والتتبع في العبادة، بالحمل على النفس فيما لم يأذن فيه الشرع، وقد وصف الشارع الشريعة بأنها سهلة سمحة)^(٢).

وما أحسن قول ابن العماد في منظومته:

لطفًا وجودًا على أحياء خليقته	لم يجعل الله في ذا الدين من حرج
من مكر إبليس فاحذر سوء فتنته	وما التتبع إلا نزغة وردت
أو نصح رأي له ترجع بخيبته	إن تستمع قوله فيما يوسوسه
دع التعمق واحذر داء نكبته ^(٣)	القصد خير وخير الأمر أوسطه

(١) إعلام الموقعين ٤ / ١٥٠.

(٢) فتح الباري ١٢ / ٣٠١.

(٣) إعانة الطالبين ١ / ١٣١.

المطلب الثاني التعمق

قال الجوهري: (وعمَّق النظر في الأمور تعميماً، وتعمق في كلامه أي: تتطعم)^(١)، وقال ابن منظور: (المتعمق: المبالغ في الأمر المتشدد فيه، الذي يطلب أقصى غايته)^(٢)، وقال ابن الأثير: (المتعمق: المبالغ في الأمر المتشدد فيه، الذي يطلب أقصى غايته)^(٣)، وقال الحافظ ابن حجر: (المبالغة في تكلف ما لم يكلف به)^(٤)، وقال أيضاً: (التعمق: التشديد في الأمر حتى يتجاوز الحد فيه)^(٥).

وسمى النبي - ﷺ - المتشددين في الدين بالمتعمقين، فقد روى البخاري في صحيحه عن أنس - رضي الله عنه - قال: واصل النبي - ﷺ - آخر الشهر، وواصل أناس من الناس، فبلغ النبي - ﷺ - فقال: (لو مد بي الشهر لواصلت وصالاً يدع المتعمقون تعمقهم، إني لست مثلكم، إني أظل يطعمني ربي ويسقيني)^(٦).

وفي مصنف عبدالرزاق عن ابن سيرين عن عبيدة قال: مر النبي - ﷺ - على قوم فلم يردوا عليه، أو قال: فلم يتكلموا، فسأل عنهم، فقليل: نذروا أو حلفوا ألا يتكلموا اليوم، فقال النبي - ﷺ - -: "هلك المتعمقون"، يعني: المتطعين^(٧).

(١) الصحاح ٤ / ١٥٣٣ ، وانظر: معجم مقاييس اللغة ٧٠٢.

(٢) لسان العرب ١٠ / ٢٧١.

(٣) النهاية في غريب الحديث ٣ / ٢٩٩.

(٤) فتح الباري ٤ / ٢٠٣.

(٥) فتح الباري ١٣ / ٢٧٨.

(٦) صحيح البخاري - كتاب التمني - باب ما يجوز من اللو ١٣ / ٢٢٥ برقم ٧٢٤١.

(٧) مصنف عبد الرزاق ٨ / ٤٣٦ رقم ١٥٨٢٠.

قال صاحب عون المعبود: ("هلك المتطعون" أي: المتعمقون، الغالون،
المجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم، قاله النووي. قال الخطابي: (المتطع
المتعمق في الشيء، المتكلف للبحث عنه على مذاهب أهل الكلام، الداخلين
فيما لا يعنيه، الخائضين فيما لا تبلغه عقولهم)^(١).
وقد سبق قول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: (إياكم والتبذع،
وإياكم والتتبع، وإياكم والتعمق، وعليكم بالدين العتيق)^(٢).

(١) عون المعبود ٢٣٥/١٢ ، شرح النووي على صحيح مسلم ٢٢٠/١٦.

(٢) إعلام الموقعين ١٥٠/٤.

المطلب الثالث التشدد

قال الجوهرى: (التشديد خلاف التخفيف)^(١)، وهو نزوع إلى ما يناقض التخفيف والتيسير.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي - ﷺ - قال: (لن يشاد الدين أحد إلا غلبه)^(٢)، قال ابن الأثير (أي: يقاويه ويقاومه، ويكلف نفسه من العبادة فيه فوق طاقته، والمشادة المغالبة)^(٣)، وقال الحافظ ابن حجر: (والمعنى: لا يتعمق أحد في الأعمال الدينية ويترك الرفق إلا عجز وانقطع فيغلب)، قال ابن المنير: (في هذا الحديث علم من أعلام النبوة، فقد رأينا ورأى الناس قبلنا أن كل متطع في الدين ينقطع، وليس المراد منع طلب الأكمل في العبادة، فإنه من الأمور المحمودة، بل منع الإفراط المؤدي إلى الملل، أو المبالغة في التطوع المفضي إلى ترك الأفضل)^(٤).

وقد أنكر القرآن الكريم على أصحاب نزعة التشديد والتضييق على النفس في تحريم الطيبات والزينة التي أخرج الله لعباده، فقال تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾، قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ﴿سورة الأعراف، من الآيتين ٣١-٣٢﴾، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ

(١) الصحاح ٢ / ٤٩٣.

(٢) صحيح البخاري: كتاب الإيمان - باب الدين يسر ١ / ٩٣ برقم ٣٩.

(٣) النهاية في غريب الحديث ٢ / ٤٥١، وانظر: لسان العرب ٣ / ٢٣٢.

(٤) فتح الباري ١ / ٩٤.

المُعْتَدِينَ ﴿ (سورة المائدة، الآية ٨٧).

وفي السنة النبوية الشريفة نجد أن الرسول ﷺ قاوم كل اتجاه ينزع إلى التشديد ويميل إلى الغلو في التدين، فأنكر - عليه الصلاة والسلام - على من بالغ من أصحابه في التقشف والتعبد مبالغة تخرجه عن حد الاعتدال والتوسط الذي هو منهج الإسلام القويم، ففي الصحيح عن عائشة رضي الله عنها (أن ناساً من أصحاب رسول الله ﷺ سألوا أزواج النبي ﷺ عن عمله في السر فكأنهم تقالوها: (أي: عدوها قليلة) فقال بعضهم: (لا آكل اللحم، وقال بعضهم: لا أتزوج النساء، وقال بعضهم الآخر: لا أنام على فراش)، فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: (ما بال قوم يقول أحدهم كذا وكذا، لكني أصوم وأفطر، وأنام وأقوم، وآكل اللحم وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني) ^(١).

فإذا كان بعض الصحابة قد بالغ في العبادة وتشدد في الإعراض عن الدنيا؛ فإن التوجيه النبوي واضح في التنبيه والتحذير من عدم التوازن والاعتدال في فهم الدين وتطبيقه، ويحذر من الغلو والتشدد في معاملة النفس والأهل والناس.

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب النكاح - باب الترغيب في النكاح ٩/ ١٠٤ برقم ٥٠٦٣.

المطلب الرابع التعنت

قال الجوهري: (العت: الإثم والوقوع في أمر شاق)^(١)، وقال ابن منظور: (العت: دخول المشقة على الإنسان، ولقاء الشدة)^(٢)، وقال صاحب إعانة الطالبين: (التعنت: أي التشدد)^(٣)، وقال ابن الأثير: (العت: المشقة والفساد والهلاك)^(٤)، فالتشدد والتعنت بمعنى واحد .

ومنه قوله - تعالى - : ﴿ وَكَوْشَاءَ اللَّهِ لَأُعَنْتَكُمْ ﴾ (سورة البقرة، من الآية ٢٢٠) أي: ولو شاء الله لضيق عليكم وأخرجكم وشدد عليكم، ولكنه وسع عليكم وخفف عنكم، وأباح لكم مخالطتهم بالتي هي أحسن، قال ابن عباس - رضي الله عنهما -: (يقول: ولو شاء الله لأخرجكم فضيق عليكم، ولكنه وسع ويسر)^(٥)، وقال قتادة: (يقول: لجهدكم فلم تقوموا بحق ولم تؤدوا فريضة)^(٦)، ومن السنة ما رواه جابر بن عبد الله أن النبي - ﷺ - قال: (إن الله لم يبعثني مُعْتَباً ولا مُتَعْتَباً، ولكن بعثني معلماً ميسراً)^(٧).

(١) الصحاح ١ / ٢٥٨ .

(٢) لسان العرب ٢ / ٦١ .

(٣) إعانة الطالبين ١ / ١٠ .

(٤) النهاية في غريب الحديث ٣ / ٣٠٦ .

(٥) جامع البيان ٣ / ٧٠٨ ، تفسير ابن أبي حاتم ٢ / ٣٩٧ .

(٦) جامع البيان ٣ / ٧٠٨ ، الدر المنثور ١ / ٢٥٦ .

(٧) جزء من حديث رواه مسلم في صحيحه - كتاب الطلاق - باب بيان أن تخيير امرأته لا يكون طلاقاً

إلا بالنية ١٠ / ٨١ .

المطلب الخامس التطرف

التطُّرف تفعل - بتشديد العين - من طرف يطرف طرفاً بالتحريك، وهو الأخذ بأحد الطرفين والميل لهما: إما الطرف الأدنى أو الأقصى^(١)، ومنه أطلقوه على الناحية وطائفة الشيء.

قال ابن فارس: (الطاء والراء والنفاء أصلان، فالأول يدل على حد الشيء وحرفه، والثاني: يدل على حركة فيه)^(٢)، وقال الجصاص: (طرف الشيء إما أن يكون ابتداءه ونهايته، ويبعد أن يكون ما قرب من الوسط طرفاً)^(٣). إن التطرف في اللغة - كما سبق - معناه: الوقوف في الطرف بعيداً عن الوسط، وأصله في الحسيات؛ كالتطرف في الجلوس أو الوقوف أو المشي، ثم انتقل إلى المعنويات كالتطرف في الدين أو الفكر أو السلوك.

فالتطرف هو مجاوزة حد الاعتدال والتوسط، ومفهومه في هذه الأزمنة: الغلو في عقيدة أو فكرة أو مذهب أو غيره يختص بجماعة أو حزب أو ما يختص به، ووصف الغلو بالتطرف له وجهه المسوغ له بأخذ أحد الطرفين. إن التطرف في جميع الأحوال ظاهرة مرضية تعبر عن حالة غضب واحتقان، وهو مؤشر على وجود خلل ما في النفس الإنسانية أو في الظروف التي تحيط بتلك النفس، والإنسان السوي بطبيعته يرفض التطرف ويضيق بالعنف P لأن الفطرة السليمة تأبى ذلك وتتفر منه^(٤).

(١) لسان العرب ٩ / ٢١٦ - ٢١٧.

(٢) معجم مقاييس اللغة ٢ / ٩٠.

(٣) أحكام القرآن ٣ / ٢٥٠.

(٤) ينظر: قضايا الإرهاب والعنف والتطرف في ميزان القرآن والسنة ١٢، التطرف في الدين ٦-٧.

وإذا كان مصطلح التطرف لم يرد في القرآن الكريم ولا في السنة النبوية، فقد وردت مصطلحات مرادفة له تحمل الدلالة نفسها وترمي إلى المفهوم نفسه، ويظهر أن مصطلح (الغلو) هو أكثر تلك المصطلحات تعبيراً عن معنى التطرف، كما أنه أكثر وروداً في النصوص الشرعية، وبخاصة في السنة النبوية.

ولما كان التطرف بعيداً عن الوسط وتقيضاً له، فإن القرآن الكريم نص على خاصية الوسطية لكونها إحدى الخصائص العامة للإسلام وأبرز المعالم الأساسية التي ميز الله - تعالى - بها أمة الإسلام عن غيرها، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ (سورة البقرة، الآية ١٤٣).

فالأمة الإسلامية أمة العدل والاعتدال التي تشهد في الدنيا والآخرة على كل انحراف يمينا أو شمالاً عن خط الوسط المستقيم.

والإسلام يدين جميع أشكال التطرف والمغالاة وحركاتها المتعددة، سواء كانت تحمل اسم الإسلام أو غيره؛ لأن التطرف ليس من الإسلام في شيء، بل هو مرفوض في الإسلام من جميع الجوانب.

المطلب السادس العنف

مادة (عنف) مثلثة العين: بالضم والفتح والكسر، وهو الشديد في القول والفعل ضد الرفق، قال ابن منظور: (العنف الخرق بالأمر، وقلة الرفق به، وهو ضد الرفق.

عُنْفَ به وعليه يَعْنُفُ عنفاً وعنافةً، وأَعْنَفُه، وَعَنْفُه تعنيفاً، وهو عنيف إذا لم يكن رفيقاً في أمره. واعتنف الأمر: أخذه بعنف، والتعنيف: التعبير واللوم^(١).

وقال الفيروز آبادي: (العنف: مثلثة العين ضد الرفق، عنف ككرم عليه وبه، وأعنفته أنا وعنفته تعنيفاً. والعنيف من لا رفق له بركوب الخيل، والشديد من القول)^(٢).

وفي الاصطلاح: الشدة والقسوة ضد الرفق^(٣)، في القول أو الرأي أو الفعل أو الحال.

ومنهج الإسلام يقوم على الرفق واللين، لا على العنف والشدة والغلظة؛ لأن العنف مفهوم سلبي يرمي إلى انتزاع المطالب بالقوة وإكراه الآخر على التنازل عنها، أو الاعتراف بها بوسائل يتكبد خسائر من جراء استعمالها، وهو أسلوب مرفوض في دين الإسلام والقيم الإنسانية والحضارية، لأنه يحوّل القوة الفكرية والمادية والمعنوية من طاقة ضرورية للإنسان لبناء ذاته ومجتمعه

(١) لسان العرب ٩ / ٢٥٨، ٢٥٧.

(٢) القاموس المحيط، ٣ / ١٧٨.

(٣) النهاية لابن الأثير: مادة عنف ٣ / ٣٠٩.

وحضارته إلى طاقة تدميرية وقوة سلبية.

بيد أن هذا التعريف للعنف يحتاج إلى مراقبة احترازية ضرورية، فإن البعض يطلق على الحزم والعدل عنفاً، وهذا غير صحيح، لأنه والحالة هذه يهدف إلى استعمال القوة لانتزاع الحقوق أو إقرارها على النحو الذي يرفع الظلم والجور، ويحقق العدل والإنصاف^(١).

وإذا كان مصطلح (العنف) لا ورود له في القرآن بهذا اللفظ فإننا في المقابل نجد أن بعض الأحاديث النبوية تتحدث عن هذا المصطلح في سياق الدعوة إلى نبذ والتحذير منه، ففي الحديث: (إن الله - عز وجل - لم يبعثني معنفا)^(٢)، وفي الحديث أيضاً: (إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف)^(٣).

وروى البخاري في صحيحه حديث عائشة - رضي الله عنها - في قصة اليهود لما قالوا: السام عليكم وردت عليهم باللعنة فقال لها رسول الله - ﷺ -: (مهلا يا عائشة، عليك بالرفق، وإياك والعنف والفحش)^(٤).

وقد بين القرآن الكريم منهج الإسلام القائم على الرفق واللين، ونبذ العنف والغلظة والشدة، ومن ذلك المنهج الصحيح الأمثل في الدعوة إلى الله، قال تعالى: ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ (سورة النحل، من الآية ١٢٥).

والدعوة بالحكمة تعني: الخطاب الذي يقنع العقول بالحجة والبرهان.

(١) العنف والديمقراطية ص ٢٦ ، قضايا الإرهاب والعنف والتطرف في ميزان القرآن والسنة ١٠.

(٢) رواه الإمام احمد في مسنده ٣٢٨/٢ ، من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

(٣) رواه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب - باب فضل الرفق ١٦ / ١٤٦ من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٤) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب لم يكن النبي فاحشاً ولا متفاحشاً ، ١٠ / ٤٥٢ برقم ٦٠٣٠.

والموعظة الحسنة تعني: الخطاب الذي يستميل النفوس ويؤثر في القلوب رغبا ورهبا.

والجدال بالتي هي أحسن يعني: الحوار مع المخالفين بأحسن الطرق وأرق الأساليب التي تقربهم ولا تبعدهم، وتقنعهم ولا تنفرهم.

ولنا عبر ودروس في دعوة أنبياء الله أقوامهم مما جاء في قصصهم في القرآن الكريم، فكانوا يبدؤون خطابهم ودعوتهم مع قومهم بـ(يا قوم) إشعاراً منهم بأنهم آحاد وأفراد منهم، مع رقة الأسلوب ولين الجانب.

من ذلك دعوة نوح لقومه، قال تعالى: ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحِ الْمُرْسَلِينَ ، إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ، إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ، فَاتَّقُوا اللَّهَ ، وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (سورة الشعراء، الآيات ١٠٥-١٠٩) .

وقال تعالى عن هود عليه السلام: ﴿ وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ (سورة الأعراف، الآية ٦٥).

وقال تعالى عن صالح عليه السلام: ﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾ (سورة الأعراف، من الآية ٧٣).

وقال تعالى عن شعيب عليه السلام: ﴿ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾ (سورة الأعراف، من الآية ٨٥).

وفي خطاب أبي الأنبياء خليل الرحمن إبراهيم - عليه السلام - لأبيه في دعوته إلى توحيد الله تعالى والابتعاد عن عبادة الأوثان، كان معه في غاية الرقة والرأفة واللين والرحمة.

يقول الله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُعْنِي عَنكَ ، يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ، يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ، يَا أَبَتِ إِنِّي

أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴿ (سورة مريم، الآيات ٤٢-٤٥).

ونموذج آخر من رسل الله عليهم السلام موسى - عليه السلام - مع الطاغية فرعون الذي ادعى الربوبية والألوهية : ﴿ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴾ (سورة النازعات، الآية ٢٤)، حيث أمره - سبحانه وتعالى - هو وأخاه هارون بتليين القول لفرعون: ﴿ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴾ (سورة طه، الآية ٤٤)، وأمره تعالى حين ذهب إلى فرعون الطاغية بقوله: ﴿ فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا أَنَا ، وَأَهْدِيكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَى ﴾ (سورة النازعات، الآيتان ١٨-١٩).

ونبي الرحمة المهداة الرؤوف الرحيم، الذي بعثه الله رحمة للعالمين، دعا إلى الرفق وأنكر العنف في أحاديثه وسيرته وفي حياتها كلها، فهو صاحب الخلق العظيم، المتمم لمكارم الأخلاق، ومن تربيته النبوية الكريمة لأصحابه في معاملة الجاهل وعدم تعنيفه ما جاء في حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قام أعرابي فبال في المسجد، فتناوله الناس، فقال لهم النبي ﷺ: (دعوه وهريقوا على بوله سجلاً من ماء، فإنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين)^(١).

قال الحافظ ابن حجر في شرحه الحديث السابق (وفيه الرفق بالجاهل، وتعليمه ما يلزمه، من غير تعنيف إذا لم يكن ذلك منه عنادا، ولا سيما إن كان ممن يحتاج إلى استتلافه، وفيه رافة النبي ﷺ - وحسن خلقه)^(٢). وكان النبي ﷺ - يحب التخفيف والتيسير على الناس، وينهى عن التعسير والتشديد، فعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - أنه عليه الصلاة

(١) رواه البخاري - كتاب الوضوء - باب صب الماء على البول في المسجد / ١ / ٣٢٣ برقم ٢٢٠.

(٢) فتح الباري / ١ / ٣٢٥.

والسلام قال: (يسرّوا ولا تعسروا، وبشّروا ولا تتفروا)^(١)، وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: (ما خير رسول الله ﷺ بين أمرين قط إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثماً، فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه، وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه، إلا أن تنتهك حرمة الله، فينتقم لله بها)^(٢).

(١) رواه البخاري - كتاب العلم - باب ما كان النبي ﷺ يتخولهم بالموعظة والعلم كيلا ينفروا ١ / ١٦٣ برقم ٦٩ ، ومسلم ، رقم الحديث: ١٧٣٤ .
(٢) رواه البخاري في صحيحه - كتاب المناقب - باب صفة النبي - ﷺ - ٦ / ٥٦٦ ، رقم الحديث ٣٥٦٠ ، ومسلم برقم ٢٣٢٧ .

المطلب السابع التحمس

معناه: التشدد في الأمر، قال ابن فارس: (الحاء والميم والسين أصل واحد يدل على الشدة)^(١)، وقال الجوهري: (والأحمس أيضاً: الشديد الصلب في الدين... وإنما سميت قريش وكنانة حمساً لتشدهم في دينهم، لأنهم كانوا لا يستظلون أيام منى، ولا يدخلون البيوت من أبوابها... والتحمس التشدد، يقال: تحمس الرجل إذا تعاصى)^(٢)، وقال ابن الأثير عن الحمس وهم قريش: (سموا حمساً لأنهم تحمسوا في دينهم، أي: تشددوا)^(٣)، وقال ابن حجر: (التحمس هو التشدد، قال أبو عبيدة معمر بن المثنى: تحمس تشدد، ومنه حمس الوغى: إذا اشتد)^(٤).

إنه بالنظر في هذه المرادفات للغلو نجد بينها تقارباً في المعاني، كلفظي الغلو والتطرف، وقد سبق بيان ذلك، وقد تكون هذه الألفاظ أوصافاً ومظاهر للغلو، فالغالي يتسم في أخذه للدين بالشدة، ويتسم في معاملة الآخرين بالعنف، ويتسم بالتطع والتعمق والتعنت والتحمس في أفعال الدين وأقواله.

(١) معجم مقاييس اللغة ٢٨٢.

(٢) الصحاح ٣ / ٩٢٠.

(٣) النهاية في غريب الحديث ١ / ٤٤٠.

(٤) فتح الباري ٣ / ٥١٦، وتحفة الأحوذى ٣ / ٥٣٢.

المبحث الثالث

نهى القرآن الكريم عن غلو أهل الكتاب

القرآن والسنة هما المصدران للأحكام الشرعية في الإسلام، والمرجعان الفصلان في قضايا الأمة، فإذا عدنا إليهما في موضوع الغلو، فإننا نجد النهي الصريح والواضح عن الغلو في كتاب الله والتحذير منه، جاء ذلك في آيتين من سورتي النساء والمائدة.

وهاتان الآيتان وإن كانتا متعلقتين بأهل الكتاب، فإن المراد تحذير هذه الأمة من الغلو لتتجنب أسباب هلاك الأمم السابقة، وأن يكشف العاقبة الوخيمة للغلو، فنحذر من السقوط في شباكه والانزلاق في وحله، كما يبين القرآن الكريم للناس جميعاً العقيدة الصحيحة والشريعة الوسط العدل، فنحرص على تصحيح مسارنا ومراجعة أحوالنا باستمرار في ضوء القرآن والسنة، دون خبط في الدين أو إفراط فيه أو تفريط.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (والنصارى أكثر غلواً في الاعتقاد والأعمال من سائر الطوائف، وإياهم نهى الله عن الغلو في القرآن)^(١)، وقال الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب: (والغلو في النصارى كثير، فإنهم غلوا في عيسى فنقلوه من حيز النبوة إلى أن اتخذوه إلهاً من دون الله يعبدونه كما يعبدون الله)^(٢).

الموضع الأول: قوله تعالى: ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى

(١) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم / ١ / ٣٢٩.

(٢) تيسير العزيز الحميد . ٢٦٥.

مَرِيْمَ وَرُوحٍ مِنْهُ فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ
 إِلَهُ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى
 بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿ (سورة النساء، الآية ١٧١)

ينهى ربنا جل وعلا أهل الكتاب عن الغلو في الدين، وهو مجاوزة الحد
 والقدر المشروع إلى ما ليس بمشروع، وذلك كغلو النصارى في عيسى عليه
 السلام، ورفع من مقام النبوة والرسالة إلى مقام الربوبية، الذي لا يليق بغير
 الله تعالى، وذلك قول بعضهم فيه أنه الله، وقول بعضهم أنه ابن الله، كما
 بينه قوله تعالى: ﴿ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ﴾ (سورة التوبة، من
 الآية ٣٠)، وقوله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ
 مَرِيْمَ ﴾ (سورة المائدة، من الآية ٧٢)، وقوله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا
 إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ ﴾ (سورة المائدة، من الآية ٧٣).

قال ابن كثير: (ينهى تعالى أهل الكتاب عن الغلو والإطراء، وهذا كثير
 في النصارى، فإنهم تجاوزوا الحد في عيسى حتى رفعوه فوق المنزلة التي أعطاه
 الله إياها، فنقلوه من حيز النبوة إلى أن اتخذوه إلها من دون الله يعبدونه كما
 يعبدونه، بل قد غلوا في أتباعه وأشياعه ممن زعم أنه على دينه، فادعوا فيهم
 العصمة واتبعواهم في كل ما قالوه، سواء كان حقا أو باطلا أو ضلالا أو
 رشادا أو صحيحا أو كذبا، ولهذا قال الله تعالى: ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَابَهُمْ
 وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرِيْمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا
 لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (سورة التوبة، الآية ٣١) (١).

ويرى بعض المفسرين أن الآية في اليهود والنصارى، قال الحسن: (يجوز أن
 تكون نزلت في اليهود والنصارى، فإنهم جميعا غلوا في أمر عيسى، فاليهود

بالتقصير، والنصارى بمجاوزة الحد، وأصل الغلو مجاوزة الحد، وهو في الدين حرام، قالوا: وقوله: ﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴾ (سورة مريم، الآية ٣٠) ردَّ بهذا على اليهود والنصارى جميعاً، فقوله (عبد الله) رد على النصارى الذين غلوا فيه، فادعوا أنه إله من دون الله، أو أنه ابن الله، وقوله (وجعلني نبياً) رد على اليهود الذين غلوا في انتقاصه والتقصير من حقه، فادعوا أنه ابن زنا ونحو ذلك^(١).

ومذهب الجمهور أن المراد بهذه الآية النصارى^(٢)، واستظهره أبو حيان بقوله (والذي يظهر أنّ قوله (يا أهل الكتاب) خطاب للنصارى بدليل آخر الآية)^(٣).

ويرى بعض المفسرين عموم ما دلت عليه الآية من صور الغلو الأخرى، قال الشنقيطي: (قال بعض العلماء يدخل في الغلو غير الحق المنهي عنه في هذه الآية ما قالوا من البيهتان على مريم أيضاً... وعليه فيكون الغلو المنهي عنه شاملاً للتفريط والإفراط، وقد قرر العلماء أن الحق واسطة بين التفريط والإفراط، وهو معنى قول مطرف بن عبد الله: (الحسنة بين سيئتين)، وبه تعلم أن من جانب التفريط والإفراط فقد اهتدى^(٤).

ولهذا قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ﴾ أي: لا تفتروا عليه وتجعلوا له صاحبة وولداً، ولا تصفوه بما يستحيل اتصافه به، من الحلول والاتحاد واتخاذ صاحبة والولد، بل نزوه عن جميع ذلك، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

(١) ينظر: معالم التنزيل ١/ ٥٠٢، زاد المسير ٢/ ٢٦٠، تفسير السمعاني ١/ ٥٠٥.

(٢) حكاه عنهم ابن الجوزي في زاد المسير ٢/ ٢٦٠.

(٣) تفسير البحر المحيط ٣/ ٤١٦، وانظر: تفسير البيضاوي ٢/ ٢٨٣.

(٤) أضواء البيان ١/ ٤٩٤.

ثم بين تعالى بطلان هذه المفتريات، فبين أمر المسيح بن مريم فقال: ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ﴾ ، وهذا كقوله تعالى: ﴿لَنْ يَسْتَكْفِرَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ (سورة النساء، من الآية ١٧٢)، وقوله: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ (سورة المائدة، من الآية ٧٥)، وقوله: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ (سورة المائدة، من الآية ١٧).
 فقوله: ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ﴾ أي: إنما هو عبد من عباد الله، فضله الله بالرسالة مثل رسله الكرام عليهم السلام، ودرجة الرسالة أعلى الدرجات.

وأيضاً: ﴿وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ﴾ أي: كلمة تكلم الله بها فكان بها عيسى، ولم يكن تلك الكلمة، وإنما كان بها، وهذا من باب إضافة التشريف والتكريم، قال ابن كثير: (أي: خلقه بالكلمة التي أرسل بها جبريل عليه السلام إلى مريم، فنفخ فيها من روحه بإذن ربه عز وجل، وكانت تلك النفخة التي نفخها في جيب درعها، فنزلت حتى ولجت فرجها بمنزلة لقاح الأب الأم، والجميع مخلوق لله عز وجل، ولهذا قيل لعيسى إنه كلمة الله وروح منه، لأنه لم يكن له أب تولد منه، وإنما هو ناشئ عن الكلمة التي قال له بها كن فكان، والروح التي أرسل بها جبريل)^(١).

ومن التشريف له قوله تعالى: ﴿وَرُوحٌ مِنْهُ﴾ أي: من الأرواح التي خلقها وكملمها بالصفات الفاضلة والأخلاق الكاملة، أرسل الله روحه جبريل عليه السلام فنفخ في فرج مريم عليها السلام، فحملت بإذن الله بعيسى عليه

السلام، وليست لفظة (من) في هذه الآية للتبعيض كما يزعمه النصارى، افتراء على الله تعالى، ولكن (من) هنا لابتداء الغاية، والمعنى: أن مبدأ ذلك الروح الذي ولد به عيسى حيا من الله تعالى، لأنه هو الذي أحياه به، ومثل معناها هنا قوله تعالى: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمْ مِمَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمِمَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً ﴾ (سورة الجاثية، من الآية ١٣)، أي: كائنا مبدأ ذلك كله منه جل وعلا، وهذه الإضافة للتفضيل، كقوله تعالى: ﴿ طَهَّرْنَا بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾ (سورة الحج، من الآية ٢٦)، وقوله تعالى: ﴿ نَاقَةُ اللَّهِ ﴾ (سورة الشمس، من الآية ١٣) (١).

ولما بين الله تعالى حقيقة عيسى عليه السلام أمر أهل الكتاب بالإيمان به وبرسوله، ونهاهم أن يجعلوا الله ثالث ثلاثة أحدهم عيسى والثاني مريم، فهذه مقالة النصارى، قال تعالى: ﴿ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ ﴾ أي: فصدقوا بأن الله واحد أحد لا ولد له ولا صاحبة، وتيقنوا بأن عيسى عبد الله ورسوله، ولهذا قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ ﴾ أي: لا تجعلوا عيسى وأمه مع الله شريكين، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا، وقد حكم الله عز وجل بكفرهم في قوله: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمِمَّا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ ﴾ (سورة المائدة، من الآية ٧٣)، قال ابن كثير: (والنصارى عليهم لعائن الله من جهلهم ليس لهم ضابط ولا لكفرهم حد، بل أقوالهم وضلالهم منتشر، فمنهم من يعتقد إلهها، ومنهم من يعتقد شريكا، ومنهم من يعتقد ولدا، وهم طوائف كثيرة، لهم آراء مختلفة وأقوال غير مؤتلفة، ولقد أحسن بعض المتكلمين حيث قال: لو اجتمع عشرة من النصارى لافترقوا عن أحد عشر قولا) (٢).

(١) ينظر: المحرر الوجيز ٤/ ٣١٦، زاد المسير ٢/ ١٥٦.

(٢) تفسير القرآن العظيم ١/ ٥٩٠.

وأكد سبحانه وتعالى هذا الأمر بقوله: ﴿ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ ﴾ أخبر أن ذلك خير لهم، لأنه الذي يتعين أنه سبيل النجاة، وما سواه فهو طرق الهلاك، وأن يتوبوا إلى الله تعالى من مقاتلتهم، فالتوبة خير لهم من الإصرار على الكفر.

ثم نزه نفسه تعالى عن الشريك والولد فقال: ﴿ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ ﴾ أي: هو المنفرد بالألوهية الذي لا تبغي العبادة إلا له، ﴿ سُبْحَانَهُ ﴾ أي: تنزهه وتقدس: ﴿ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ ﴾ كما تزعمون أنتم أيها النصارى في أمر عيسى، لأن: ﴿ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾ فالكل مملوكون له مفتقرون إليه، وهم تحت تديره وتصرفه، وهو وكيل على كل شيء، قيم على خلقه مدبر لهم، فمحال أن يكون له شريك منهم أو ولد، قال الرازي (واعلم أنه سبحانه في كل موضع نزه نفسه عن الولد ذكر كونه ملكا ومالكا لما في السموات وما في الأرض، فقال في مريم: ﴿ إِنَّ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴾ (سورة مريم، الآية ٩٣)، والمعنى: من كان مالكا لكل السموات والأرض ولكل ما فيهما كان مالكا لعيسى ولريم، لأنهما كانا في السموات وفي الأرض، وما كانا أعظم من غيرهما في الذوات والصفات، وإذا كان مالكا لما هو أعظم منهما فبأن يكون مالكا لهما أولى، وإذا كانا مملوكين له فكيف مع هذا توهم كونهما له ولدا وزوجة^(١).

الموضع الثاني: قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾ (سورة المائدة، الآية ٧٧).

يقول تعالى لنبيه - ﷺ - : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ ﴾ أي: لا تتجاوزوا وتتعدوا الحق إلى الباطل، وذلك لأن الحق بين طرفي الإفراط والتفريط، ودين الله بين الغلو والتقصير، وقد أخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم أبو الشيخ عن قتادة في قوله: (لا تغلوا في دينكم) يقول: لا تبتدعوا، وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن زيد في قوله: (لا تغلوا في دينكم) قال: (الغلو فراق الحق، وكان مما غلوا فيه أن ادعوا لله صاحبة وولدا)^(١)، وقالوا عن عيسى عليه السلام هو الله أو هو ابنه، ولكن قولوا هو عبد الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه.

قال ابن كثير: (أي: لا تجاوزا الحد في اتباع الحق، ولا تطروا من أمرتم بتعظيمه، فتبالغوا فيه حتى تخرجه عن حيز النبوة إلى مقام الإلهية، كما صنعتم في المسيح وهو نبي من الأنبياء فجعلتموه إلها من دون الله)^(٢)، قال الأوسى: (وذكرهم بعنوان أهل الكتاب للإيماء إلى أن في كتابهم ما ينهاتهم عن الغلو في دينهم)^(٣).

قال بعضهم: النهي يشمل اليهود والنصارى وذلك أن اليهود نسبوا عيسى عليه السلام إلى الزنا وبهتوا أمه بالفرية وهي صديقة، ونسبوه أيضاً إلى الكذب، والنصارى ادعوا فيه الإلهية، فاليهود غلوا في جانب التفريط فقصروا في حقه، والنصارى غلوا في جانب الإفراط فرفعوه فوق منزلته، فادعوا أنه الله أو ابن الله^(٤).

ثم قال تعالى: ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ ﴾ قال الزجاج:

(١) ينظر لهما: تفسير ابن أبي حاتم ٤ / ١١٨٠ ، الدر المنثور ٣ / ١٢٣ .

(٢) تفسير القرآن العظيم ٢ / ٨٣ .

(٣) روح المعاني ٦ / ٢١٠ .

(٤) ينظر: جامع البيان ٦ / ٣١٦ ، التفسير الكبير ١٢ / ٥٣ .

(تأويله: لا تتبعوا شهواتهم، لأنهم آثروا الشهوات على البيان والبرهان، وما في القرآن من ذكر اتباع الهوى مذموم)^(١)، وقال الألويسي: (والأهواء جمع هوى، وهو الباطل الموافق للنفس، والمراد: لا توافقهم في مذاهبهم الباطلة التي لم يدع إليها سوى الشهوة ولم تقم عليها حجة)^(٢).

والمراد: شيوخ الضلال ممن سلف من أئمة النصارى، الذين كانوا على ضلال في شأن عيسى عليه السلام، قوله تعالى: ﴿ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا ﴾ من الناس بدعوتهم إياهم إلى الدين الذي هم عليه، ثم ضلوا بكفرهم بمحمد ﷺ - (٣) -

قوله تعالى: ﴿ وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾ أي: وخرجوا عن طريق الاستقامة والاعتدال إلى طريق الغواية والضلال، فجمعوا بين الضلال والإضلال، حين كذبوا النبي ﷺ - وحسدوه وبغوا عليه، وصدوا الناس عن الإيمان به واتباعه .

قال الرازي: (إنه تعالى وصفهم بثلاث درجات في الضلال، فبين أنهم كانوا ضالين من قبل، ثم ذكر أنهم كانوا مضلين لغيرهم، ثم ذكر أنهم استمروا على تلك الحالة، حتى إنهم الآن ضالون كما كانوا، ولا نجد حالة أقرب إلى العبد من الله والقرب من عقاب الله تعالى من هذه الحالة)^(٤).
إن مظاهر الغلو والتطرف واضحة جلية عند أهل الكتاب - ولاسيما اليهود - في التعالي والكبر، والعجب والتهيه على الناس جميعاً مسلمين ونصارى وغيرهم .

(١) معاني القرآن وإعرابه ٢ / ١٩٧.

(٢) روح المعاني ٦ / ٢١١.

(٣) ينظر لما سبق: التسهيل ١ / ١٨٥ ، المحرر الوجيز ٢ / ٢٢٣ ، زاد المسير ٢ / ٤٠٥.

(٤) التفسير الكبير ١٢ / ٥٣.

وأيضاً في عقيدتهم وتميزهم عن الناس بالدعاوى الباطلة من كونهم أبناء الله وأحباءه، وزعمهم أنهم شعب الله المختار، وأنه ليس عليهم فيما يفعلون في غيرهم من الظلم والبغي والاعتداء حرج وسبيل.

وأعظم مظاهر تطرفهم وغلوهم ما كان في جناب الله ﷻ من وصفه سبحانه وتعالى بالنقائص، وإضافة العيوب إليه تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً، ومما فضحهم الله به في القرآن:

١ - قولهم إن الله فقير ونحن أغنياء، قال تعالى: ﴿ لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلُ دُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ، ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَامٍ لِلْعَمِيدِ، الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلاَّ نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالنِّزِيِّ فَلَيْسَ فِيمَا قَتَلْتُمُوهُمْ إِنَّ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (سورة آل عمران الآيات ١٨١-١٨٣).

٢ - وصفهم الله تعالى بالبخل والشح، قال عز وجل: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلِيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾ (سورة المائدة، الآية ٦٤).

٣ - عيبهم الله بالتعب والإعياء في خلق السموات والأرض في ستة أيام، فأكذبهم الله بقوله: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ ﴾ (سورة ق، الآية ٣٨).

٤ - ومن إرهابهم: قتلهم أنبياء الله ورسله إليهم ظلماً وعدواناً، وفسادهم وإفسادهم في الأرض وفي حكم الله، والآيات في بيان ذلك كثيرة، من

ذلك قوله - تعالى - : ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُثْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِيهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبِ اللَّهِ ذَلِكَ بَأْتُهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾ (سورة البقرة، الآية ٦١).

كما وجد الغلو في التكفير عند كل من اليهود للنصارى والعكس، قال الله - تعالى - : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتْ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ لَيْسَتْ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ ﴾ (سورة البقرة، من الآية ١١٣)، حتى أدى بهم الأمر إلى استباحة الدماء والأعراض فيما بينهم^(١).

فاليهود تُقرُّ مبدأ القتال؛ لأنه مرتبط بوجودهم وبقائهم، وأنهم أبناء الله وأحباؤه، وما سواهم أميون يجوز أن يفعلوا بهم ما شاؤوا على مبدئهم الخبيث أنهم شعب الله المختار، وكما قصَّ الله عنهم في قولهم: ﴿ وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بدينارٍ لا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قائماً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (سورة آل عمران، ٧٥)، فغيرهم خدم لهم مسخرون لأجلهم.

والنصارى تقرر أنها وارثة اليهودية بشرية عيسى - عليه السلام -، كما نقموا على اليهود، لأنهم صلبوا عيسى عليه السلام كما يظنون، قال عز

(١) تفاصيل هذا في مقال علمي في مجلة الفيصل عدد ١٣٤ - شعبان ١٤٠٨ هـ تحت عنوان (التطرف الديني عند بني إسرائيل) لعبد الرحمن عبد المحسن - عزز أقواله بنقول من العهدين القديم والحديث ص ٨٧-٩١، وانظر بحث "الإلحاد وعلاقته باليهود والنصارى" د. محمد الشويعر في مجلة البحوث عدد ١٤ عام ١٤٠٥ هـ ص ٢٠٩.

وجل: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ..... ﴾ الآية (سورة المائدة: ١٨) .

إن هذه النصوص وإن تعلقت بأهل الكتاب ابتداء فإن المراد منها موعظة هذه الأمة، لتجتنب الأسباب التي أوجبت غضب الله وسخطه على الأمم السابقة، ولتحذر الوقوع في الغلو كما وقع فيه من قبلها، كما قال - عليه الصلاة والسلام - : (إياكم والغلو في الدين، فإنه أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين)^(١).

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب: المناسك، باب قدر حصى الرمي، ص ٥١٦، حديث رقم ٣٠٢٩ عن ابن عباس رضي الله عنهما.

المبحث الرابع النهي عن الغلو في السنة

وردت أحاديث في السنة النبوية تنفر من الغلو أشد التنفير، وتحذر منه أشد التحذير، وحسبنا أن نقرأ هذه الأحاديث لنعلم إلى أي حد ينهى الإسلام عن الغلو، وذكر بعضها يساعد على فهم معنى الغلو وحدّه، وأثاره السيئة على أهله ومجتمعهم بعامّة .

١- عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله - ﷺ - غداة جمع - أي: مزدلفة - (هلم القطُّ لي الحصى، فلقطت له حصيات من حصى الخذف، فلما وضعهن في يده، قال: نعم بأمثال هؤلاء، وإياكم والغلو في الدين، فإنه أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين)^(١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية وقوله ("إياكم والغلو في الدين" عام في جميع أنواع الغلو في الاعتقاد والأعمال... وسبب هذا اللفظ العام: رمي الجمار، وهو داخل فيه، فالغلو فيه: مثل الرمي بالحجارة الكبار ونحو ذلك بناءً على أنه أبلغ من الحصى الصغار، ثم علل ذلك: بأن ما أهلك من قبلنا إلا الغلو في الدين، كما تراه في النصارى، وذلك يقتضي: أن مجانية هديهم مطلقاً أبعد عن الوقوع فيما به هلكوا، وأن المشارك لهم في بعض هديهم يخاف عليه أن يكون هالكاً)^(٢).

٢- عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ - : (هلك المتطعون) قالها ثلاثاً^(٣).

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب: المناسك، باب قدر حصى الرمي، ص ٥١٦، حديث رقم ٣٠٢٩.

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم، ١ / ٣٢٩.

(٣) رواه مسلم - كتاب العلم، باب هلك المتطعون، ١٦ / ٢٢٠، رقم الحديث ٢٦٧٠.

قال الإمام النووي: (هلك المتطعون: أي: المتعمقون المغالون المجاوزون الحد في أقوالهم وأفعالهم)^(١).

ونلاحظ أن هذا الحديث والذي قبله جعلاً عاقبة الغلو والتتبع هي الهلاك، وهو يشمل هلاك الدين والدنيا، وأي خسارة أعظم من الهلاك، وكفى بهذا زجراً^(٢).

٣- عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي - ﷺ - قال: (إن الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا، وقاربوا، وأبشروا، واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة)^(٣).

قال ابن رجب: (والتسديد العمل بالسداد، وهو القصد والتوسط في العبادة، فلا يقصر فيما أمر به ولا يتحمل منها ما لا يطيقه)^(٤)، وقال ابن حجر: (والمعنى: لا يتعمق أحد في الأعمال الدينية ويترك الرفق إلا عجز وانقطع فيغلب، ... قوله: (فسددوا) أي: الزموا السداد، وهو الصواب، من غير إفراط ولا تفريط، قال أهل اللغة: السداد التوسط في العمل، قوله: (وقاربوا) أي: إن لم تستطيعوا الأخذ بالأكمل فاعملوا بما يقرب منه)^(٥). وقد أنكر النبي - ﷺ - وهو القدوة الكاملة لنا - على من بالغ من أصحابه في التعبد والتشفيء مبالغة تخرجه عن حد الاعتدال التي جاء بها الإسلام، حيث وازن بين المتطلبات الروحية والمادية، ووافق بين الدين والدنيا، وبين حظ النفس من الحياة وحق الرب في العبادة التي خلق لها الجن والإنس، قال - تعالى - : ﴿ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ

(١) شرح النووي لصحيح مسلم، كتاب: العلم - باب: النهي عن اتباع متشابه القرآن، ١٦ / ٢٢٠.

(٢) الصحو الإسلامية بين الجحود والتطرف ص ٢٦.

(٣) صحيح البخاري - كتاب الإيمان - باب الدين يسر - حديث رقم: ٢٩ ، ١ / ٩٣.

(٤) الوسطية في القرآن، ص ٤٥، نقلاً عن المحجة في سير الدلجة لابن رجب.

(٥) فتح الباري، ١ / ٩٤ - ٩٥.

حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿ (سورة البقرة، الآية ٢٠١).

وقال - تعالى - : ﴿ وَأَبْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾ (سورة القصص: ٧٧).

ومن دعاء النبي ﷺ قوله: (اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري، وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي، وأصلح لي آخرتي التي إليها معادي)^(١).

وها هو النبي - ﷺ - يشدد النكير على نفر من صحابته - رضي الله عنهم - الذين غلوا في التعبد، وتعاهدوا على التبتل والانقطاع للعبادة بعد أن تقالوا عبادته ﷺ.

٤- فعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - أن نفرا من أصحاب النبي - ﷺ - سألوا أزواج النبي - ﷺ - عن عمله في السر، فقال بعضهم: لا أتزوج النساء، وقال بعضهم: لا آكل اللحم، وقال بعضهم: لا أنام على فراش، فحمد الله وأثنى عليه، وقال: (ما بال أقوام قالوا كذا وكذا، لكني أصلي وأنام، وأصوم وأفطر، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني)^(٢).

وسنته - عليه الصلاة والسلام - تعني منهجه في فهم الدين وتطبيقه، وكيف يعبد ربه ويؤدي حقه، وكيف يعامل نفسه وأهله والناس من حوله، معطياً كل ذي حق حقه في توازن واعتدال^(٣).

وإذا كان بعض الصحابة رضي الله عنهم قد بالغ في العبادة وتشدد في

(١) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء، حديث رقم ٢٧٢٠.

(٢) رواه البخاري في صحيحه - كتاب النكاح - باب استحباب النكاح لمن تآقت نفسه إليه ووجد مؤونة - ١٧٥ / ٩.

(٣) الصحو الإسلامية بين الجحود والتطرف، ص ٢٣، ٢٢.

الإعراض عن الدنيا فإن التوجيه النبوي واضح في التنبيه والتحذير من عدم التوازن والاعتدال في فهم الدين وتطبيقه، والغلو في معاملة النفس والأهل والناس.

والإسلام منهج وسط للأمة الوسط، وهو يمثل الصراط المستقيم في كل المجالات، ويجسد التوازن والاعتدال في كل شيء: في العقيدة والعبادة، وفي الأخلاق والمعاملات والتشريعات كلها، بعيداً عن الغلو والتفريط.

وسلوك هذا الطريق المستقيم أو المنهج الوسطي هو طريق النجاة للفرد والأمة الإسلامية، وهو الذي يصل إلى الغاية المنشودة في رقي الأمة مادياً ومعنوياً، والعودة بها إلى القيادة للبشرية الحائرة بما لديها من رسالة ربانية إنسانية أخلاقية عالمية متكاملة متوازنة.

والإعراض عن هذه الوسطية والجنوح إلى أحد طرفي الإفراط أو التفريط هو عين الهلاك وضياع الدين والدنيا معاً.

كما دعا نبينا عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم نبي الرحمة المهداة الرؤوف الرحيم، الذي بعثه الله رحمة للعالمين، إلى الرفق وأنكر الغلو والعنف مع النفس والآخرين، في أحاديثه وسيرته ومنهجه في الحياة كلها، فهو صاحب الخلق العظيم: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ سورة القلم، الآية ٤) المتمم لمكارم الأخلاق، القائل: (إنما بعثت لأتمم مكارم الخلق)^(١).

وها هي جملة مختصرة من توجيهاته وأحاديثه في الدعوة إلى الرفق والبعد عن العنف، وأن من حرم الرفق حرم الخير.

١- عن عائشة - رضي الله عنها - في قصة اليهود لما قالوا: السام عليكم وردت عليهم باللعنة فقال لها رسول الله - ﷺ -: (مهلا يا عائشة، عليك

(١) رواه مالك في الموطأ - كتاب حسن الخلق - باب ما جاء في حسن الخلق - ٢ / ٩٠٤ ، وأحمد في مسنده ٢ / ٢٨١ ، وصححه الألباني في صحيح الجامع ١ / ٤٦٤ برقم ٢٣٤٩.

بالرفق، وإياك والعنف والفحش)^(١).

٢- عن عائشة - رضي الله عنها - أن رسول الله - ﷺ - قال: (إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، وما لا يعطي على غيره)^(٢).

٣- عن عائشة - رضي الله عنها - أن النبي - ﷺ - قال: (إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه)^(٣).

٤- عن عائشة - رضي الله عنها - أن النبي - ﷺ - قال: (إذا أراد الله عز وجل بأهل بيت خيراً أدخل عليهم الرفق)^(٤).

٥- عن أبي الدرداء - رضي الله عنه - أن النبي - ﷺ - قال: (من أعطي حظه من الرفق فقد أعطي حظه من الخير، ومن حرم حظه من الرفق، فقد حرم حظه من الخير)^(٥).

٦- من التربية النبوية الفريدة لأصحابه في معاملة الجاهل والرفق به وعدم تعنيفه ما جاء في حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قام أعرابي فبال في المسجد، فتناوله الناس، فقال لهم النبي ﷺ: (دعوه وهريقوا على بوله سجلاً من ماء، فإنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين)^(٦)، وجاء في رواية عند ابن ماجه: (فقال الأعرابي بعد أن فقهه: فقام إلي - بأبي وأمي - فلم يؤنب ولم يسب)^(٧).

قال الحافظ ابن حجر في شرحه للحديث السابق: (وفيه الرفق بالجاهل،

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب لم يكن النبي فاحشاً ولا متفاحشاً، ١٠ / ٤٥٢ برقم ٦٠٣٠.

(٢) رواه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب - باب فضل الرفق ١٦ / ١٤٦.

(٣) ينظر: الحاشية السابقة.

(٤) رواه أحمد في مسنده ٦ / ٧١.

(٥) رواه الترمذي - كتاب البر والصلة - باب ما جاء في الرفق - ٤ / ٣٦٧ - رقم ٢٠١٣.

(٦) رواه البخاري - كتاب الوضوء - باب صب الماء على البول في المسجد ١ / ٣٢٣ برقم ٢٢٠.

(٧) سنن ابن ماجه - أبواب الطهارة - باب الأرض يصيبها البول كيف تغسل - ١ / ٩٩ برقم ٥٥١.

- وتعليمه ما يلزمه من غير تعنيف إذا لم يكن ذلك منه عنادا ، ولا سيما إن كان ممن يحتاج إلى استئلافه ، وفيه رأفة النبي - ﷺ - وحسن خلقه^(١) .
- ٧- عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - أن رسول الله - ﷺ - كان يقول : (لا تشددوا على أنفسكم فيشدد عليكم ، فإن قوما شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم ، فتلك بقاياهم في الصوامع والديار : ﴿ وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ ﴾ (سورة الحديد ، من الآية ٢٧)^(٢) .
- ٨- عن عبد الرحمن بن شبل رضي الله عنه قال سمعت رسول الله - ﷺ - يقول : (اقرأوا القرآن ولا تغلوا فيه ، ولا تجفوا عنه ، ولا تأكلوا به ، ولا تستكثروا به)^(٣) .
- ٩- روى عبدالرزاق عن ابن سيرين عن عبيدة قال : مر النبي - ﷺ - بقوم فسلم عليهم فلم يردوا عليه ، أو قال : فلم يتكلموا ، فسأل عنهم ، فقيل : نذروا أو حلفوا ألا يتكلموا اليوم ، فقال النبي - ﷺ - : (هلك المتعمقون) - يعني : المتتبعين - ، قالها مرتين^(٤) .
- قال صاحب عون المعبود : ("هلك المتتبعون" أي : المتعمقون ، الغالون ، المجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم ، قاله النووي ، قال الخطابي : المتتبع المتعمق في الشيء ، المتكلف للبحث عنه على مذاهب أهل الكلام الداخلين فيما لا يعنيه الخائضين فيما لا تبلغه عقولهم)^(٥) .

(١) فتح الباري ١ / ٣٢٥ .

(٢) رواه أبو داود في سننه - كتاب الأدب - باب في الحسد - ٤ / ٢٧٧ برقم ٤٩٠٤ ، وأبو يعلى في مسنده ٦ / ٣٦٥ ، برقم ٣٦٩٤ ، والحديث ضعفه الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة رقم ٣٤٨٦ .

(٣) رواه أحمد في مسنده ٣ / ٤٢٨ ، وأبو عبيد في فضائل القرآن ١٠٥ .

(٤) مصنف عبدالرزاق (٤٣٦/٨) ، رقم ١٥٨٢٠ .

(٥) عون المعبود (٢٣٥/١٢) ، شرح النووي على صحيح مسلم (٢٢٠/١٦) .

المبحث الخامس أسباب الغلو

إن لظاهرة الغلو ومرادفاته أسباباً كثيرة، على مستوى الأفراد والجماعات، أسباب عامة مشتركة في كل زمان ومكان، وأسباب خاصة بفضة من الناس أو بزمن أو مكان معينين .

وهذه الأسباب في عمومها لها أدلتها من القرآن والسنة، وبعضها بالاستقراء والتأمل في أحوال الأفراد والمجتمعات، فمن أسباب ظهور نزعات الغلو والتنطع في الدين بين المسلمين^(١):

أولاً: إعراض بعض المسلمين عن دينهم، عقيدة وشريعة وأخلاقاً، مما أوقعهم في ضنك العيش وحياة الشقاء والتعاسة، والقلق والاضطراب، قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً ﴾ (سورة طه، من الآية ١٢٤)، قال الرازي: (وقوله (فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً) فالضنك أصله الضيق والشدة، وهو مصدر ثم يوصف به، فيقال: منزل ضنك وعيش ضنك، فكأنه قال: معيشة ذات ضنك، واعلم أن هذا الضيق المتوقع به إما أن يكون في الدنيا أو في القبر أو في الآخرة أو في الدين أو في كل ذلك أو أكثره، أما الأول فقال به جمع من المفسرين)^(٢).

ويتجلى هذا الإعراض في أمور كثيرة من حياة المسلمين اليوم، ومن مظاهر هذا الإعراض:

١- الإعراض عن منهج السلف الصالح والجهل به، أو التكرره والاستهزاء به .

(١) ينظر: كتاب الخوارج ١٢٣-١٢٤.

(٢) التفسير الكبير ٢٢ / ١١٢.

٢- كثرة البدع والعقائد الفاسدة، وما نتج عن ذلك من الافتراق والفرق والأهواء، والتنازع والخصومات في الدين.

٣- الإعراض عن شرع الله وذكره وشكره، ووقوع بعض المسلمين في التقصير في حق الله تعالى، وارتكابهم الذنوب والمعاصي، ووقوعهم في المنكرات، وضعف مظاهر التقوى والورع والخشوع في حياتهم، مع ما تبع ذلك من شيوع الفساد، وظهور الفواحش والمنكرات.

ثانياً: قلة الفقه في الدين وضعف العلم الشرعي عند المسلمين، أو أخذ العلم على غير نهج سليم وأصول صحيحة وطريقة مستقيمة، أو تلقيه عن غير أهلية ولا جدارة، والمتأمل لواقع أكثر أصحاب التوجهات التي يميل أصحابها إلى الغلو والعنف يجد أنهم يتميزون بالجهل وضعف الفقه في الدين، وضحالة الحصيلة في العلوم الشرعية، وحين يتصدون للأمور الكبار والمصالح العظمى يكثر منهم التخبط والخلط، والأحكام المتسرعة والمواقف المتشنجة .

ثالثاً: ظهور نزعات الأهواء والعصبية والتحيزات المقيتة، التي تفرق الصف المسلم وتحدث الفرقة والاختلاف، والله - تعالى - يقول: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً﴾ (سورة آل عمران، من الآية ١٠٣)، قال الرازي (في التأويل وجوه:

الأول: أنه نهى عن الاختلاف في الدين، وذلك لأن الحق لا يكون إلا واحداً، وما عداه يكون جهلاً وضلالاً، فلما كان كذلك وجب أن يكون النهي عن الاختلاف في الدين، وإليه الإشارة بقوله - تعالى - : ﴿فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾ (سورة يونس، من الآية ٣٢).

والثاني: أنه نهى عن المعاداة والمخاصمة، فإنهم كانوا في الجاهلية مواظبين على المحاربة والمنازعة، فنهاهم الله عنها .
 الثالث: أنه نهى عما يوجب الفرقة ويزيل الألفة والمحبة^(١).
 وقال الحافظ ابن كثير: (وقوله: " ولا تفرقوا " أمرهم بالجماعة ونهاهم عن التفرقة، وقد وردت الأحاديث المتعددة بالنهي عن التفرق والأمر بالاجتماع والاتلاف، كما في صحيح مسلم من حديث سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله - ﷺ - قال: " إن الله يرضى لكم ثلاثا ويسخط لكم ثلاثا، يرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا، وأن تعصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم، ويسخط لكم ثلاثا، قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال"^(٢)، وقد تضمنت لهم العصمة عند اتفاقهم من الخطأ، كما وردت بذلك الأحاديث المتعددة أيضا، وخيف عليهم الافتراق والاختلاف، فقد وقع ذلك في هذه الأمة، فافترقوا على ثلاث وسبعين فرقة، منها فرقة ناجية إلى الجنة ومسلمة من عذاب النار، وهم الذين على ما كان عليه النبي - ﷺ - وأصحابه)^(٣).

وقد أبان الشيخ السعدي مصالح الاجتماع ومضار الفرقة بقوله: (ثم أمرهم - تعالى - بما يعينهم على التقوى وهو الاجتماع والاعتصام بدين الله، وكون دعوى المؤمنين واحدة، مؤتلفين غير مختلفين، فإن في اجتماع المسلمين على دينهم واتتلاف قلوبهم يصلح دينهم وتصلح دنياهم، وبالاجتماع يتمكنون من كل أمر من الأمور، ويحصل لهم من المصالح

(١) التفسير الكبير ٨ / ١٤٢.

(٢) صحيح مسلم - كتاب الأفضية - باب النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة - ١٠ / ١٢.

(٣) تفسير القرآن العظيم ١ / ٣٩٠.

التي تتوقف على الائتلاف ما لا يمكن عدها، من التعاون على البر والتقوى، كما أن بالافتراق والتعادي يختل نظامهم وتتقطع روابطهم، ويصير كل واحد يعمل ويسعى في شهوة نفسه، ولو أدى إلى الضرر العام^(١).

رابعاً: الابتعاد عن العلماء وجفوتهم، وترك التلقي عنهم والافتداء بهم، والعلماء بعلمهم وحكمتهم وفقههم وتجاربهم أقدر الناس على توجيه الشباب واحتضانهم واحتوائهم، بدلاً من التلقي عن دعاة السوء والفتنة والالتفاف حولهم، فلا يكون الشباب بحيويتهم ونشاطهم وهمتهم بمعزل عن العلماء.

خامساً: التعامل والغرور عند هؤلاء الغلاة، والتعالي على العلماء وعلى الناس، واحتقار الآخرين وآرائهم، فالتعامل والغرور عند بعض الشباب مع الأسباب الأخرى مما أوقعهم في الغلو والتطرف، في حين تجد أحدهم لا يعرف بدهيات العلم الشرعي وأصول الأحكام وقواعد الدين، أو قد يكون عنده علم قليل بلا أصول ولا ضوابط ولا فقه ولا رأي سديد، ويظن أنه بعلمه القليل وفهمه السقيم قد حاز علوم الأولين والآخرين، فيستقل بغروره عن العلماء، وعن مواصلة طلب العلم فيهلك بغروره ويهلك، وهكذا كان الخوارج الأولون يدعون العلم والاجتهاد ويتطاولون على العلماء، وهم من أجهل الناس.

فحين يتوهم الإنسان أنه وحده على الصراط المستقيم وأن غيره من الناس ليسوا على شيء، نراه يُكفّرُ ويُفسقُ الآخرين، ويلجأ إلى الطعن والتضليل وسوء الظن بالناس والإعجاب بالنفس، هذا مع حداثة السن

(١) تيسير الكريم الرحمن ١٤٢.

وسفاهة الحلم وقلة الفهم، مصداقاً لقوله - ﷺ -: (سيخرج قوم في آخر الزمان أحداث الأسنان سفهاء الأحلام)^(١)، قال الحافظ ابن حجر: (أحداث الأسنان، المراد أنهم شباب، ومعنى سفهاء الأحلام أن عقولهم رديئة، قال النووي: يستفاد منه أن التثبوت وقوة البصيرة تكون عند كمال السن وكثرة التجارب وقوة العقل)^(٢).

سادساً: حداثة السن، وقلة التجارب، وضعف الحكمة، وعدم الصبر أو قلته، وضيق العطن، وقصر النظر، ونحو ذلك مما هو موجود لدى بعض الشباب، يضاف إلى ذلك الغيرة غير المتزنة، إنما هي مجرد عواطف بلا علم ولا حكمة ولا نظر ولا اعتبار، فشدة الغيرة وقوة العاطفة لدى فئات من الشباب وغيرهم بلا علم ولا فقه ولا حكمة تؤدي إلى الوقوع في الغلو والتطرف، مع العلم أن الغيرة على محارم الله وعلى دين الله أمر مطلوب شرعاً، لكن ذلك مشروط بالحكمة والفقه والبصيرة، ومراعاة المصالح ودرء المفاسد، فإذا فقدت هذه الشروط أو بعضها أدى ذلك إلى الغلو والتتبع والشدة والعنف في معالجة الأمور، وهذا مما لا يستقيم به للمسلمين أمر لا في دينهم ولا في دنياهم.

سابعاً: تصدر حدثاء الأسنان وسفهاء الأحلام وأشباههم للدعوة والشباب بلا علم ولا فقه، فاتخذ بعض الشباب منهم رؤساء جهالاً، فأفتوا بغير علم، وحكموا في الأمور بلا فقه، وواجهوا الأحداث الجسام بلا تجربة ولا رأي، ولا رجوع إلى أهل العلم والفقه والتجربة والرأي، بل كثير منهم يستنقص العلماء والمشايخ ولا يعرف لهم قدرهم، ولا يأخذ منهم العلم

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب استتابة المرتدين - باب قتل الخوارج والملحد بعد إقامة الحجة عليهم - ١٢ / ٢٨٣ برقم ٦٩٣٠، من حديث علي رضي الله عنه.

(٢) فتح الباري ١٢ / ٢٨٧.

والفتوى، مما حصل بسببه الفرقة والفساد العظيم والنفرة من العلماء وعدم الإفادة منهم، فعاد ذلك كله على المسلمين بالضرر البالغ في دينهم ودنياهم .

ثامناً: وسائل الإعلام المغرضة التي تسعى إلى التفريق بين المؤمنين وإبعادهم عن دينهم، مما أوقع بعض الشباب في الأحكام والتصرفات الجائرة والخاطئة، التي لا تليق تجاه علمائهم وحكامهم، فالإعلام في العصر الحديث صار بعضه مطية الشيطان إلى كل فتنة وضلالة وبدعة ورذيلة، داعياً إلى الضلالة ونشر البدعة والزندقة وترويج الرذيلة والفساد، وهتك الفضيلة، وحرب التدين وأهله، وبالمقابل فإن إسهام الإعلام في نشر الحق والفضيلة قليل وباهت جداً، ولا شك أن هذا الوضع منكر عظيم، وإذا اقترن بذلك قلة العلم والحلم والصبر والحكمة، وغياب التوجيه الشرعي السليم، أدّى ذلك بالضرورة إلى الصلّف والقسوة في الأحكام والتعامل، وإلى الإحباط والتشاؤم واليأس عند بعضهم، فيندفع إلى التغيير بعنف وتهور، ويسلك مسالك الغلاة والمتطرفين في مناهجهم وطرائقهم.

تاسعاً: من أسباب الغلو في الأحكام التشدد في تطبيقها، والتزام جانب الشدة والقسوة في عملها والقيام بها، ويزيد فيها على ما بينه الشرع الحكيم، ويخترع وسائل جديدة للعبادة لم يرد لها أصل في كتاب ولا سنة، والله - تعالى - يقول: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ﴾ (سورة المائدة، من الآية 3)، قال الشيخ السعدي: (بتمام النصر وتكميل الشرائع الظاهرة والباطنة الأصول والفروع، ولهذا كان الكتاب والسنة كافيين كل الكفاية في أحكام الدين وأصوله وفروعه، فكل متكلف يزعم أنه لا بد للناس في معرفة عقائدهم وأحكامهم إلى علوم غير علم الكتاب والسنة من علم الكلام

وغيره فهو جاهل مبطل في دعواه، قد زعم أن الدين لا يكمل إلا بما قاله ودعا إليه، وهذا من أعظم الظلم والتجهيل لله ولرسوله^(١).
ومما يلاحظ أن من يتحمس ويندفع نحو الغلو والتشدد في كل شيء لا يصبر ولا يطيق ذلك التغالي والمبالغة، فيتراجع وينقص أمر تدينه وسلوكه، وهذا ما حذر منه الرسول ﷺ في قوله (إن هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق، إن المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى)^(٢).

(١) تيسير الكريم الرحمن ٢٢٠.

(٢) رواه أحمد في مسنده ٣٢٤/١.

المبحث السادس نتائج الغلو وآثاره

لغلو بجميع مرادفاته مفسد كثيرة وآثار سيئة على أصحابها خاصة وعلى الناس
بعمامة، وقد تكون تلك الآثار السيئة سريعة الظهور مرتبطة بمظاهر الغلو
ومرادفاته، وقد تظهر بعد حين، ومن تلك النتائج والآثار:
أولاً: أن الغلو ابتداءً في الدين:

وقد أمر النبي - ﷺ - بالاتباع ونهى عن الابتداء، والغلو نوع من الابتداء
في الدين، لأنه زيادة وتجاوز في تطبيق الدين والتزام أحكامه والاستجابة
لأوامره.

عن العرياض بن سارية - رضي الله عنه - قال: صلى بنا رسول الله ﷺ
الصبح ذات يوم، ثم أقبل علينا، فوعظنا موعظة بليغة، ذرقت منها العيون،
ووجلت منها القلوب، فقال قائل: يا رسول الله، كأن هذه موعظة مودع،
فماذا تعهد إلينا، قال: (أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة، وإن عبدا
حبشيا مجدعا، فإنه من يمشي منكم فسيروا اختلافاً كثيراً، فعليكم
بسنتي، وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي، تمسكوا بها، وعضوا عليها
بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة
ضلالة) (١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (ففي هذا الحديث أمر المسلمين باتباع سنته،
وسنة الخلفاء الراشدين، وبين أن المحدثات - التي هي البدع التي نهى عنها -

(١) رواه أحمد في مسنده ٤ / ١٢٦، وأبو داود في سننه - كتاب السنة - باب في لزوم السنة ٤ / ٢٠٠،
حديث: ٤٦٠٧ قال ابن القيم: هذا حديث حسن إسناده لا بأس به، إعلام الموقعين ٤ / ١٤٠.

ما خالف ذلك^(١).

وقد روي عن سلفنا الصالح من الصحابة والتابعين رحم الله الجميع جملة من الآثار في الحث على التمسك بالسنة والحذر من البدعة، ومن صور البدع الغلو في الدين، قال عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه -: (اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم)، وقال عمر بن عبد العزيز: (قف حيث وقف القوم، فإنهم عن علم وقفوا... فما فوقهم محسر، وما دونهم مقصر، لقد قصر عنهم قوم فجفوا، وتجاوزهم آخرون فغلوا، وإنهم فيما بين ذلك لعلى هدى مستقيم)^(٢).

ثانياً: أن الغلو سبب لهلاك الأمم:

إن أحد أسباب هلاك الأمم الغلو في الدين، وقد حذر الله - تعالى - منه في كتابه العزيز، حيث قال: ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ ﴾ (سورة المائدة، من الآية ٧٧).

وروي ابن عباس - رضي الله عنهما - أن رسول الله - ﷺ - غداة جمع قال: (هلم القط لي الحصى، فلقطت له حصيات قبل حصى الخذف، فلما وضعهن في يده، قال: نعم بأمثال هؤلاء، وإياكم والغلو في الدين، فإنه أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين)^(٣).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية وقوله: ("إياكم والغلو في الدين" عام في جميع أنواع الغلو في الاعتقاد والأعمال... وسبب هذا اللفظ العام: رمي الجمار، وهو داخل فيه، فالغلو فيه: مثل الرمي بالحجارة الكبار ونحو ذلك بناءً على أنه أبلغ من الحصى الصغار، ثم علل ذلك: بأن ما أهلك من قبلنا إلا الغلو في

(١) مجموع الفتاوى ٣٧/٣١.

(٢) ينظر لهذين الأثرين: لمعة الاعتقاد ١٦.

(٣) أخرجه ابن ماجة في سننه، كتاب: المناسك، باب قدر حصى الرمي، ص ٥١٦، حديث رقم ٣٠٢٩.

الدين، كما تراه في النصارى، وذلك يقتضى: أن مجانية هديهم مطلقاً أبعد عن الوقوع فيما به هلكوا، وأن المشارك لهم في بعض هديهم يخاف عليه أن يكون هالكاً^(١).

وروى مسلم في صحيحه عن ابن مسعود - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ -: (هلك المتطعون) قالها ثلاثاً^(٢).

قال الإمام النووي: (هلك المتطعون: أي: المتعمقون المغالون المجاوزون الحد في أقوالهم وأفعالهم)^(٣).

ثالثاً: أن الغلو فيه مشابهة للنصارى:

إن من أسباب ضلال النصارى التتبع في الدين والغلو فيه، فابتدعوا الرهبانية، قال - تعالى -: ﴿ وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا ﴾ (سورة الحديد، من الآية ٢٧)، قال ابن الجوزي: (أي: جاؤوا بها من قبل أنفسهم، وهي: غلوهم في العبادة، وحمل المشاق على أنفسهم في الامتناع عن الطعام والمشرب والملبس والنكاح، والتعبد في الجبال: ﴿ مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ ﴾: أي: ما فرضناها عليهم)^(٤).

ومن غلوهم ما سبق بيانه من كونهم زعموا أن المسيح عيسى بن مريم هو الله، أو أنه ابن الله، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً .

ونحن ندعو الله تعالى أن يجنبنا طريقهم فنقرأ: ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ ، قال الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين: (وفي قوله ﴿ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ دليل على أنه يجب على المسلم الذي هداه إلى

(١) اقتضاء الصراط المستقيم، ١ / ٣٢٩.

(٢) كتاب العلم، باب هلك المتطعون، ١٦ / ٢٢٠، رقم الحديث ٢٦٧٠.

(٣) شرح النووي لصحيح مسلم، كتاب: العلم - باب: النهي عن اتباع متشابه القرآن، ١٦ / ٢٢٠.

(٤) زاد المسير ٨ / ١٧٦.

الصراط المستقيم أن يتبرأ من طريقة هؤلاء، كما سأل الله أن يعصمهم من طريقهم فليتبرأ منه وليبعد عنه، وليتجنب ما هم عليه من الضلال، بل إن الرسول عليه الصلاة والسلام قال: (من تشبه بقوم فهو منهم)^(١).

رابعاً: أن الغلو يخالف ما بنيت عليه الشريعة من السماحة والتيسير:

لقد بين النبي - ﷺ - أن هذا الدين مبني على التيسير، فقال عليه الصلاة والسلام: (إن الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه) الحديث^(٢)، ووصف النبي - ﷺ - الرسالة التي بعث بها بالحنيفية السمحة، حيث قال: (ولكني بعثت بالحنيفية السمحة)^(٣)، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (الحنيفية ضد الشرك، والسماحة ضد الحجر والتضييق)^(٤)، وقال الحافظ ابن حجر: (والسمحة: السهلة، أي: أنها مبنية على السهولة، لقوله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ (سورة الحج، من الآية ٧٨)^(٥).

ووصف الله تعالى رسوله - ﷺ - بقوله: ﴿ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾ (سورة الأعراف، من الآية ١٥٧)، قال الحافظ ابن كثير: (أي: أنه جاء بالتيسير والسماحة، كما ورد الحديث من طرق عن رسول الله - ﷺ - أنه قال: (بعثت بالحنيفية السمحة)، وقال - ﷺ - لأميريه معاذ وأبي موسى الأشعري لما بعثهما إلى اليمن: (بشرا ولا تنفرا، ويسرا ولا تعسرا، وتطاوعا ولا تختلفا)، وقال صاحبه أبو برزة الأسلمي إنني صحبت

(١) رواه أحمد في مسنده ٥٠ / ٢، وأبو داود في سننه - كتاب اللباس - باب في لبس الشهرة - ٤ / ٤٤ برقم ٤٠٣١ من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) أحكام من القرآن الكريم ٣٩.

(٣) رواه البخاري في صحيحه - كتاب الإيمان - باب الدين يسر - ١ / ٩٣ برقم ٣٩.

(٤) رواه أحمد في مسنده ٥ / ٢٦٦ من حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه.

(٥) مجموع الفتاوى ٢٠ / ١١٤.

(٦) فتح الباري ١ / ٩٤.

رسول الله - ﷺ - وشهدت تيسيره، وقد كانت الأمم التي قبلنا في شرائعهم ضيق عليهم فوسع الله على هذه الأمة أمورها وسهلها لهم^(١)، وقال السعدي: (أي: ومن وصفه أن دينه سهل سمح ميسر، لا إصر فيه ولا أغلال، ولا مشقات ولا تكاليف ثقال)^(٢).

فبالسماحة والتيسير كان يوصي أصحابه، فعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - أنه - عليه الصلاة والسلام - قال: (يسرّوا ولا تعسروا، وبشّروا ولا تنفروا)^(٣).

قال جابر بن عبد الله - رضي الله عنه -: (كان رسول الله - ﷺ - رجلاً سهلاً)^(٤)، قال النووي: (أي: سهل الخلق، كريم الشمائل، لطيفاً ميسراً في الخلق)^(٥).

وفي الصحيح عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: (ما خير رسول الله ﷺ بين أمرين إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثماً، فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه، وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله بها)^(٦).

خامساً: أن في الغلو مشقة على النفس:

والله تعالى يقول: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ (سورة البقرة، من الآية ١٨٥)، قال السعدي: (أي: يريد الله تعالى أن ييسر عليكم

(١) تفسير القرآن العظيم ٢ / ٢٥٥ .

(٢) تيسير الكريم الرحمن ٣٠٥ .

(٣) رواه البخاري - كتاب العلم - باب ما كان النبي ﷺ يتخولهم بالموعظة والعلم كيلاً ينفروا / ١ / ١٦٣ برقم ٦٩ ، رقم الحديث ٦٩ ، مسلم ، رقم الحديث: ١٧٢٤ .

(٤) صحيح مسلم ، كتاب الحج ، باب بيان وجوه الإحرام وأنه يجوز إفراد الحج والتمتع والقران ، رقم الحديث: ١٢١٢ .

(٥) شرح صحيح مسلم ٤ / ٤١٠ .

(٦) رواه البخاري ، كتاب المناقب ، باب صفة النبي ﷺ ، رقم الحديث: ٣٥٦٠ .

الطرق الموصلة إلى رضوانه أعظم تيسير ويسهلها أشد تسهيل، ولهذا كان جميع ما أمر الله به عباده في غاية السهولة في أصله، وإذا حصلت بعض العوارض الموجبة لتثقله سهله تسهيلاً آخر، إما بإسقاطه، أو تخفيفه بأنواع التخفيفات^(١).

وقد سبق قوله - عليه الصلاة والسلام -: (إن الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه) الحديث^(٢)، وفي رواية أخرى قال - ﷺ -: (إن هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فاستعينوا بالعدوة والروحة، وشيء من الدلجة، والقصد القصد، تبلغوا)^(٣).

قال الحافظ ابن حجر: (والمشادة بالتشديد المغالبة، شاده يشاده مشادة إذا قاواه، والمعنى: لا يتعمق أحد في الأعمال الدينية ويترك الرفق إلا عجز وانقطع فيغلب، قال ابن المنير: في هذا الحديث علم من أعلام النبوة، فقد رأينا ورأى الناس قبلنا أن كل متطع في الدين ينقطع، وليس المراد منع طلب الأكمل في العبادة، فإنه من الأمور المحمودة، بل منع الإفراط المؤدي إلى الملل، أو المبالغة في التطوع المفضي إلى ترك الأفضل.... ومناسبة إيراد المصنف لهذا الحديث عقب الأحاديث التي قبله ظاهرة من حيث إنها تضمنت الترغيب في القيام والصيام والجهاد، فأراد أن يبين أن الأولى للعامل بذلك أن لا يجهد نفسه بحيث يعجز وينقطع، بل يعمل بتلطف وتدرج ليدوم عمله ولا ينقطع)^(٤).

وقال أيضاً: (قوله (سدوا) معناه: اقصدا السداد، أي: الصواب، (وقاربوا) أي: لا تفرطوا فتجهدوا أنفسكم في العبادة، لتلا يفضي بكم ذلك

(١) تيسير الكريم الرحمن ٨٦ .

(٢) رواه البخاري في صحيحه - كتاب الإيمان - باب الدين يسر - ١ / ٩٣ برقم ٣٩ .

(٣) سنن البيهقي الكبرى ٣ / ١٨ ، حديث: ٤٥٢٠ ، قال الهيثمي: (رواه أحمد ورجاله موثقون إلا أن خلف بن مهرا لم يدرك أنسا) مجمع الزوائد ١ / ٦٢ .

(٤) فتح الباري ١ / ٩٤ - ٩٥ ، بتصرف يسير.

إلى الملل فتركوا العمل فتفرطوا، وفي الزهد لابن المبارك من حديث عبد الله بن عمرو موقوفاً: (إن هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق، ولا تبغضوا إلى أنفسكم عبادة الله، فإن المنبت لا أرضا قطع ولا ظهراً أبقى)، والمنبت: بنون ثم موحدة ثم مثناة ثقيلة، أي: الذي عطب مركوبه من شدة السير، مأخوذ من البت وهو القطع، أي: صار منقطعاً لم يصل إلى مقصوده، وفقد مركوبه الذي كان يوصله لو رفق به، وفيه إشارة إلى الحث على الرفق في العبادة، قوله: (والقصد القصد) بالنصب على الإغراء، أي: الزموا الطريق الوسط المعتدل^(١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (فإن المشروع المأمور به الذي يحبه الله ورسوله، هو الاقتصاد في العبادة، كما قال النبي - ﷺ -: (عليكم هديا قاصدا، عليكم هديا قاصدا)^(٢)، وقال: (إن هذا الدين متين، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فاستعينوا بالغدوة والروحة، وشيء من الدلجة، والقصد القصد، تبلغوا)، وكلاهما في الصحيح، وقال أبي بن كعب: اقتصاد في سنة خير من اجتهاد في بدعة. فمتى كانت العبادة توجب له ضررا يمنعه عن فعل واجب أنفع له منها كانت محرمة، مثل أن يصوم صوما يضعفه عن الكسب الواجب أو يمنعه عن العقل أو الفهم الواجب أو يمنعه عن الجهاد الواجب. وكذلك إذا كانت توقعه في فعل محرم لا يقاوم مفسدته مصلحتها، مثل أن يخرج ماله كله ثم يستشرف إلى أموال الناس ويسألهم)^(٣).

(١) فتح الباري ١١/٢٩٧-٢٩٨.
 (٢) رواه ابن خزيمة في صحيحه ٢/١٩٩، حديث: ١١٧٩، والحاكم في المستدرک ١/٤٥٧، حديث: ١١٧٦، والبيهقي في السنن الكبرى ٣/١٨، حديث: ٤٥١٩.
 (٣) مجموع الفتاوى ٢٥/٢٧٢ - ٢٧٣.

سادساً: أن الغلو تنفيراً من الدين:

فالغلو منفر من الدين، لأنه بطبيعته التي رضيها الغلاة لأنفسهم يحمل معاني الشدة والتعسير، فلا تحتمله طبيعة البشر ولا تصبر عليه، ولا تستمر عليه لو اعتقدته، ولو صبر عليه قليل منهم لم يصبر عليه غالبيتهم، دليل ذلك قول رسول الله - ﷺ -: (إن منكم منفرين، فأياكم ما صلى بالناس فليتجوز، فإن فيهم الضعيف والكبير وذا الحاجة)^(١).

وقد ذكر الحافظ ابن حجر أن قوله - عليه الصلاة والسلام -: (إن منكم منفرين) تفسير وبيان للفتنة المذكورة في حديث معاذ حين صلى بقومه العشاء بعد ما صلى مع النبي - ﷺ -، فقرأ سورة البقرة، وفيه: (يا معاذ أفتان أنت، أو أفتان - ثلاث مرار -)^(٢).

سابعاً: أن الغلو سبب للخروج عن الدين:

الغلو في الدين أحد أسباب الخروج عنه إن عاجلاً أو آجلاً، فعن أبي سعيد الخدري قال: بعث علي - رضي الله عنه - وهو باليمن بذهبة في تربتها إلى رسول الله - ﷺ - فقسمها رسول الله - ﷺ - بين أربعة نفر: الأقرع بن حابس الحنظلي، وعيينة بن بدر الفزاري، وعلقمة بن علاثة العامري، ثم أحد بني كلاب، وزيد الخير الطائي ثم أحد بني نبهان، قال: فغضبت قريش، فقالوا: أيعطي صنابير نجد ويدعنا، فقال رسول الله - ﷺ -: (إني إنما فعلت ذلك لأنألفهم)، فجاء رجل كثر اللحية، مشرف الوجنتين، غائر العينين، ناتئ الجبين، مخلوق الرأس، فقال: اتق الله يا محمد، قال: فقال رسول الله - ﷺ -:

(١) رواه البخاري في صحيحه - كتاب الأذان - باب تخفيف الإمام في القيام - ٢ / ١٩٧ برقم ٧٠٢ من حديث أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري في صحيحه - كتاب الأذان - باب من شكك إمامه إذا طول - ٢ / ٢٠٠ برقم ٧٠٥، وانظر: فتح الباري ٢ / ١٩٩.

(فمن يطع الله إن عصيته، أيأمنني على أهل الأرض، ولا تأمنوني)، قال: ثم أدبر الرجل، فاستأذن رجل من القوم - يرون أنه خالد بن الوليد - فقال رسول الله - ﷺ -: (إن من ضئضى هذا قوما يقرؤون القرآن، لا يجاوز حناجرهم، يقتلون أهل الإسلام، ويدعون أهل الأوثان، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد)^(١).

قال النووي: (وأنهم يشددون في الدين في غير موضع التشديد، ويبالغون في الصلاة والقراءة، ولا يقومون بحقوق الإسلام بل يمرقون منه، وأنهم يقاتلون أهل الحق)^(٢).

(١) رواه مسلم في صحيحه - كتاب الزكاة - باب إعطاء المؤلف ٧ / ١٦١ - ١٦٢.

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم ٧ / ١٦٦ .

المبحث السابع

علاج الغلو

ظاهرة الغلو بجميع صورها وأشكالها لها العلاج المناسب لمن تأمل الكتاب والسنة ووفق للاستتباط والاستدلال منهما.

فقد جاء في وصف القرآن الكريم أنه شفاء للمؤمنين، من الأمراض والأدواء الحسية والمعنوية، فهو شفاء من الكفر والشرك والنفاق، وشفاء من الجهل والبدع، والغلو والتطرف، وشفاء من فتن الشبهات والشهوات، شفاء من الحيرة والشك، والقلق والوسوسة، شفاء من أمراض القلوب والأبدان، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ، قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ (سورة يونس 57-58)، وقال تعالى: ﴿ وَنُزِّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ (سورة الإسراء 82)، وقال تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءً ﴾ (سورة فصلت 44).

قال الحافظ ابن كثير في تفسير قوله تعالى ﴿ وَنُزِّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ (سورة الإسراء، 82)، يقول تعالى مخبراً عن كتابه الذي أنزله على رسوله محمد - ﷺ -، وهو القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد، إنه شفاء ورحمة للمؤمنين، أي: يذهب ما في القلوب من أمراض، من شك ونفاق وشرك وزيف وميل، فالقرآن يشفي من ذلك كله، وهو أيضاً رحمة يحصل فيها الإيمان والحكمة وطلب الخير والرغبة فيه، وليس هذا إلا لمن آمن به وصدق واتبعه، فإنه يكون شفاء في حقه ورحمة، وأما الكافر

الظالم لنفسه بذلك فلا يزيده سماعه القرآن إلا بعداً وكفراً، والآفة من الكافر لا من القرآن، كقوله تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءً وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ﴾ (سورة فصلت، ٤٤) ^(١). وقال الزركشي عن الاستشفاء بالقرآن: (لن ينتفع به إلا من أخلص لله قلبه ونيته، وتدبر الكتاب في عقله وسمعه، وعمر به قلبه، وأعمل به جوارحه، وجعله سميره في ليله ونهاره، وتمسك به وتدبره) ^(٢).

فمن العلاج النافع والحلول المناسبة لظاهرة الغلو وصورها المتنوعة ما يأتي:

أولاً: أهمية الوضوح والشفافية والصراحة في طرح قضايا العنف والغلو والتطرف وأسبابها والاعتراف بوجودها وآثارها، ولاسيما بعد أن شاعت هذه الأمور عبر وسائل الإعلام والإنترنت ومجالس الناس الخاصة والعامة، وانزلق في حلها فئام من الناس، في صور متنوعة وأشكال متعددة، على مستوى الفرد أو الجماعة.

ولابد من كشف مواطن الإشكال واللبس والغموض في هذه القضايا الحساسة، وإعلان الوجهة الشرعية فيها، وتأصيلها شرعاً، انطلاقاً من كتاب الله عز وجل وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام، فتحذر جميع المسائل المشككة شرعاً، وتربط بأصولها وقواعدها وأدلتها وفتاوى العلماء.

ثانياً: يجب عدم الخلط بين القضايا التي لها أصول شرعية وبين ما فيه مخالفة للشرع، فالجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والولاء والبراء ونحوها كلها أصول عقدية معتبرة شرعاً بأدلتها من الكتاب والسنة، ويجب بيان الخطأ في تفسيرها وفهمها، وعدم الخلط بينها وبين العنف

(١) تفسير القرآن العظيم ٣ / ٥٩.

(٢) البرهان في علوم القرآن ١ / ٤٣٦.

والإرهاب والغلو، فإن الخلط بين هذه المصطلحات والمسائل وعدم بيانها أدى إلى التباس الأمور على كثير من الناس، وإلى تعاطف آخرين مع من سلكوا منهج الغلو والتطرف .

إن التفريق بين أحكام الدين في الجهاد بشروطه والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والولاء والبراء بضوابطها الشرعية، وبين التشدد والغلو والتطرف الذي يحدث باسم هذه الأصول الشرعية العظيمة أمر في غاية الأهمية، لأن الخلط وتجاوز هذه الأصول من قبل البعض، والتتكّر لها من بعض الكتّاب والدعاة يؤدي إلى استفزاز الناس، ويتذرع به أهل الفتنة والغلو لأنفسهم ولاستمالة غيرهم من الجهلة والعوام .

ثالثاً: أهمية استقراء شبهات الغلاة ودعاويهم وحججهم، أو الأمور الملتبسة عليهم، وتتبع مقالاتهم ومؤلفاتهم وسائر مزاعمهم، ثم الرد عليهم بالحجة والدليل والبرهان الشرعي والعقلي، والحوار الجاد مع المنظرين والمتبوعين منهم لبيان الحق لهم.

وطرح برامج وخطط علمية مدروسة ومحددة ومبرمجة بعناية لعلاج ظواهر الغلو بالحوار والمناقشة والحجة والتربية، وبالبرامج العلمية والإعلامية والتربوية والاجتماعية النافعة .

وذلك أن أغلب أفراد الغلاة من ذوي العاطفة والغيرة والحماس، لكنهم ينقصهم الفقه في الدين ومعرفة مقاصده، والحكمة والصبر والتجارب، كما أنه استهوتهم التيارات المنحرفة والأهواء المضلة، فلا بد من الحوار المباشر معهم، وتوجيه الرسائل والبحوث العلمية المؤصلة، وجميع الوسائل المتاحة في هذا الوقت، وتكون من متخصصين جديرين، وتعالج القضايا الكبرى بأسلوب ميسر متوازن، بكل شفافية ووضوح.

وإني في هذا المقام لأشيد وأبارك الجهود التي تبذلها وزارة الداخلية عبر لجان المناصحة وما حققته من ثمار مباركة ولله الحمد.
رابعاً: إنشاء مراكز وجمعيات ومؤسسات متخصصة رسمية وغير رسمية، تعنى بهذه الأمور، يكون فيها باحثون ومتخصصون يعكفون على البحث والدراسة والحوار، وتوفر لهم الإمكانيات اللازمة والوسائل العلمية والإعلامية وغيرها، وتتحمل الجامعات والمؤسسات التربوية كأقسام العقيدة والفقه والكتاب والسنة والثقافة، ومراكز البحث ومراكز خدمة المجتمع مسؤولية كبيرة تجاه هذه الظاهرة، لدراساتها ومناقشتها بموضوعية وحرص على الإقناع بكل ما يتوفر من الأدلة والحجج، ولا بد أيضاً من دعم البحوث والدراسات وأن تفعل واقعاً ملموساً، وأن تطرح هذه القضية عبر وسائل الإعلام المختلفة، وفي مؤسسات التربية والتعليم، بأسلوب علمي مدروس، قائم على الدراسات والإحصائيات وتحليلها، للوصول إلى النتائج المرجوة منها.

خامساً: استنهاض همم العلماء والدعاة والمفكرين والمربين للإسهام في حل هذه المشكلة وعلاج هذه الظاهرة، وتخفيف آثارها والحد من انتشارها بكل الوسائل المتاحة، مع التشاور والتعاون بين الجميع في حل ظاهرة الغلو وآثارها، وممارسة دورهم الريادي في ذلك، مع ملاحظة الانفتاح على الناس وسماع ما عندهم، وتخصيص أوقات معينة يستقبل فيه الناس ويحاوورهم، ويخصص للشباب وقت خاص، يحاوورهم العالم والمفكر والمربي ويرفق بهم ويرشدهم، برفق وسعة صدر وحلم وتذكير بالأصول الشرعية، وهذا مجرب وناجح، ومع الغفلة عن الشباب فإنهم ينصرفون إلى الفضائيات والشبكة المعلوماتية (الإنترنت) ودعاة السوء والفتنة والتيارات المعادية.

سادساً: إن الغلو والتطرف لا يمكن علاجه علاجاً حاسماً إلا بالجمع بين أمرين، هما:

١- الحوار الجاد والمجادلة والتي هي أحسن، من خلال النصوص الشرعية والقواعد المعتمدة من قبل الراسخين والمتخصصين الذين يحترمهم المحاور ويعترف بجدارتهم.

٢- الجد والحزم في معالجة أسباب الغلو، بعد إقامة الحجة وكشف مواطن الانحراف بجلاء.

لأن أكثر ما يثيره أهل الغلو والتطرف مبني على أوهام وظنون وشائعات وتلبيس، ثم أدى ذلك إلى التهاجر والقطيعة بينهم وبين العلماء والدعاة. فالحل هو كشف الحقائق، والشفافية والحوار الجاد واللقاء المباشر وفتح الأبواب لهم، مع الحزم في تطبيق العقوبات الشرعية الرادعة.

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين إله الأولين والآخرين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد الأمين المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه أجمعين.. أما بعد:

فقد ظهر لي بعد الفراغ من كتابة هذا البحث ما يأتي:

- تدور الأحرف الأصلية لكلمة الغلو على معنى مجاوزة القدر والحد وتعديه، وحوله تدور تعاريف العلماء الاصطلاحية له، فهو: تجاوز الحد الشرعي؛ وذلك بالزيادة فيه أو المبالغة إلى الحد الذي يخرج عن الوصف الذي أراده الله سبحانه وتعالى.
- الغلو في الدين آفة قديمة ابتليت بها الأمم قبلنا، كما بليت بها هذه الأمة، فما أوقع قوم نوح في الشرك إلا غلوهم في تعظيم الصالحين وتجاوزهم في تقديرهم، حتى عبدوهم من دون الله تعالى.
- للغلو مرادفات كثيرة، منها: التتبع والتعمق والتشدد والتعننت والتطرف والعنف والتحمس، والأدلة على التحذير منها والنهي عنها في كتاب الله تعالى وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام كثيرة، وبين هذه المصطلحات تقارب في المعنى، وعموم وخصوص.
- جاء الحديث عن غلو أهل الكتاب في موضعين من القرآن؛ أحدهما في سورة النساء، والآخر في سورة المائدة، والمراد بهم اليهود الذين غلو في جانب التفريط في حق عيسى عليه السلام، فادعوا أنه ابن زنا ورموه بالكذب، والنصارى الذين غلو في جانب الإفراط، فادعوا أنه الله أو ابن الله، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.
- هاتان الآيتان وإن كانتا متعلقتين بأهل الكتاب فإن المراد تحذير هذه

الأمّة من الغلو، لتتجنب أسباب هلاك الأمم السابقة، ولئلا تقع فيما وقعوا فيه.

- وردت أحاديث في السنة النبوية تنفر من الغلو وتحذر من الوقوع فيه، وتبين آثاره السيئة على الواقع فيه وعلى من حوله، بأساليب متنوعة ودلالات متعددة.
- لظاهرة الغلو والتطرف أسباب كثيرة، على مستوى الأفراد والجماعات، منها أسباب مشتركة عامة في كل زمان ومكان، وأسباب خاصة بفئة من الناس أو بزمن أو مكان معينين.
- من أسباب الغلو إعراض بعض المسلمين عن دينهم، عقيدة وشريعة وأخلاقاً، وقلة تفقهمهم في دينهم وضعف العلم الشرعي لديهم، أو أخذ العلم على غير منهج سليم وأصول صحيحة.
- الابتعاد عن العلماء الراسخين في العلم وترك التلقي عنهم والاقتداء بهم، والاعتياض عنهم بدعاة السوء والضلال سبب من أسباب الغلو والتطرف، يضاف إلى ذلك التعامل والغرور عند هؤلاء الغلاة مع أن حدهم لا يعرف بدهيات العلم الشرعي وأصول الأحكام وقواعد الدين ومقاصد الإسلام.
- للغلو والتطرف مفاصد كثيرة وآثار سيئة على أصحابها خاصة والناس عامة، وقد تكون تلك الآثار سريعة الظهور مرتبطة بمظاهر الغلو ومرادفاته، وقد تظهر بعد حين.
- من تلك الآثار والنتائج أن الغلو ابتداء في الدين، وقد أمرنا بالاتباع ونهينا عن الابتداء، لأنه تجاوز وزيادة في تطبيق الدين والتزام أحكامه.
- الغلو سبب في هلاك الأمم السابقة، والتاريخ خير شاهد على ذلك، وقد نهينا عن الغلو خشية أن يصيبنا ما أصابهم، مما جاء بيانه في كتاب الله تعالى وسنة رسوله - عليه الصلاة والسلام -.

- من وقع في الغلو فقد شابه اليهود والنصارى في ضلالهم وتنطعهم في الدين، وما نتج عن ذلك من الكذب والافتراء على الله تعالى.
- الغلو يخالف ما بنيت عليه الشريعة الإسلامية من السماحة واليسير، وما بعث به النبي - ﷺ - من الرحمة والهداية للناس عامة.
- أن في الغلو مشقة على النفس ومخالفة لطبيعتها، كما أن فيه تنفيراً من الدين وبغضاً له عند الناس، والدين بخلاف ذلك ولله الحمد، فالله قد أكمله وأتم به النعمة ورضيه لنا ديناً.
- ظاهرة الغلو بجميع صورها وأشكالها لها العلاج المناسب لمن تأمل الكتاب والسنة ووفق للاستتباط والاستدلال منهما، فالقرآن شفاء للأمراض الحسية والمعنوية، شفاء لأمراض الشهوات والشبهات، ولأمراض القلق والشك والغلو والبدع وغيرها.
- من وسائل علاج ظاهرة الغلو الوضوح والشفافية والصراحة في طرح هذه القضية ومناقشتها بموضوعية، بذكر أسبابها والبحث الجاد عن علاجها.
- أهمية استقراء شبهات الغلاة ودعاويهم وحججهم أو الأمور الملتبسة عليهم، ثم الرد عليها بالحجة والدليل الشرعي والعقلي، والحوار الهادئ معهم لإقناعهم.
- إنشاء المراكز والجمعيات المتخصصة التي تعنى بهذه الأمور، يكون فيها باحثون متفرغون متخصصون لدراسة هذه الظاهرة، وتوفر لهم جميع الإمكانيات التي تعينهم على أداء عملهم والقيام برسالتهم.
- استنهاض همم العلماء والدعاة والمربين لعلاج هذه الظاهرة، وبذل المزيد من الجهود سواء في الحوار معهم أو التأليف أو إلقاء الدروس وغير ذلك.

ثبت المصادر والمراجع

- الإتيان في علوم القرآن- جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي- تعليق مصطفى ديب البغا- دار ابن كثير- دمشق بيروت- الطبعة الأولى - ١٤٠٧هـ/١٩٧٨م.
- أحكام القرآن - أحمد بن علي الجصاص - المكتبة التجارية - مكة المكرمة - بدون.
- أحكام من القرآن الكريم - محمد بن صالح العثيمين - دار طويق - الرياض - الطبعة الثانية - ١٤١٥هـ .
- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن - محمد الأمين المختار الشنقيطي - طبعة صاحب السمو الملكي الأمير أحمد بن عبد العزيز - المطابع الأهلية للأوفست - الرياض - ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣ م .
- إعانة الطالبين - أبو بكر محمد بن السيد الدمياطي - دار الفكر - بيروت - بدون.
- إعلام الموقعين - محمد بن أبي بكر ابن القيم - تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد - مطبعة السعادة - مصر - الطبعة الأولى - ١٣٧٤هـ / ١٩٥٥ م .
- اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم - شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحلیم ابن تيمية - تحقيق ناصر العقل - الطبعة الأولى - ١٤٠٤هـ .
- البرهان في علوم القرآن - بدر الدين محمد الزركشي - تحقيق محمد إبراهيم - دار المعرفة - بيروت - الطبعة الثانية.
- تحفة الأحوذی شرح جامع الترمذی - محمد عبد الرحمن المباركفوري - عناية عبد الرحمن محمد عثمان - محمد عبد المحسن الكتبي - المدينة المنورة.
- التسهيل لعلوم التنزيل - محمد بن أحمد الغرناطي الكلبي - دار الكتاب العربي - بيروت - الطبعة الرابعة - ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م .
- التطرف في الدين دراسة شرعية - محمد عبد الرزاق الطبطبائي - بحث مقدم

لمؤتمر موقف الإسلام من الإرهاب المنعقد في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١ - ٣ / ٣ / ١٤٢٥ هـ.

- التعاريف - محمد عبد الرؤوف المناوي - تحقيق محمد رضوان الداية - دار الفكر المعاصر - بيروت ودمشق - الطبعة الأولى - ١٤١٠ هـ .
- تفسير البحر المحيظ - أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي - دار الفكر - بيروت - الطبعة الثانية ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م.
- تفسير البيضاوي ومعه حاشية الشهاب - دار صادر - بيروت - بدون.
- تفسير السمعاني - أبو المظفر منصور بن محمد السمعاني - تحقيق ياسر إبراهيم وغنيم عباس - دار الوطن - الرياض - ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧ م .
- تفسير القرآن العظيم - أبو الفداء إسماعيل بن كثير - دار المعرفة - بيروت.
- تفسير القرآن العظيم - عبد الرحمن بن محمد بن أبي حاتم - تحقيق أسعد محمد الطيب - مكتبة الباز - مكة المكرمة - الرياض - الطبعة الثانية - ١٤١٩ هـ / ١٩٩٩ م.
- التفسير الكبير . فخر الدين عمر الرازي . دار الفكر . بيروت . ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م .
- تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد - سليمان بن عبد الله بن محمد ابن عبد الوهاب - المكتب الإسلامي - دمشق - الطبعة السادسة - ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م .
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان - عبد الرحمن بن ناصر السعدي - مؤسسة الرسالة . الطبعة الأولى : ١٤١٦ هـ / ١٩٩٦ م .
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن - أبو جعفر محمد بن جرير الطبري - تحقيق د. عبد الله التركي - دار هجر - القاهرة - الطبعة الأولى - ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠١ م .
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن - أبو جعفر محمد بن جرير الطبري - دار المعرفة - بيروت - الطبعة الرابعة ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م .
- الجامع لأحكام القرآن - محمد بن أحمد القرطبي - تحقيق أحمد البردوني -

- دار الفكر - بيروت.
- الخوارج أول الفرق في تاريخ الإسلام - ناصر العقل - دار الوطن - الطبعة الثانية - ١٤١٧ هـ - الدر المنثور في التفسير بالمأثور - جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي - دار الفكر - بيروت - الطبعة الثانية - ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٨ م.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني - أبو الفضل محمود الألوسي - دار إحياء التراث العربي - بيروت .
- زاد المسير في علم التفسير - أبو الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي - بعناية أحمد شمس الدين - دار الكتب العلمية - بيروت - دار الباز - مكة المكرمة - الطبعة الأولى - ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤ م .
- سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيء على الأمة - محمد ناصر الدين الألباني - مكتبة المعارف - الرياض - الطبعة الرابعة - ١٤٠٨ هـ .
- سنن ابن ماجه - محمد بن يزيد بن ماجه - تحقيق محمد الأعظمي - شركة الطباعة العربية السعودية - الطبعة الثانية - ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م .
- سنن أبي داود - أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني - عناية محيي الدين عبد الحميد - دار إحياء التراث العربي - بيروت .
- سنن الترمذي (الجامع الصحيح) - تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي - مطبعة مصطفى البابي الحلبي - القاهرة - الطبعة الثانية ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٨ م .
- سنن الدارمي - عبد الله بن بهرام الدارمي - دار الفكر - بيروت .
- السنن الكبرى - أحمد بن الحسين البيهقي - دار المعرفة - بيروت - بدون .
- شرح النووي على صحيح مسلم - أبو زكريا يحيى بن شرف النووي - دار الفكر - بيروت .
- الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية) - إسماعيل بن حماد الجوهري - تحقيق أحمد عبد الغفور عطار - دار العلم للملايين - بيروت - الطبعة الثالثة - ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م .

- الصحة الإسلامية بين الجحود والتطرف - يوسف القرضاوي - مؤسسة الرسالة - بيروت - الطبعة السادسة - ١٩٩٨ م .
- صحيح ابن خزيمة . محمد بن إسحاق بن خزيمة . تحقيق محمد مصطفى الأعظمي . المكتب الإسلامي .
- صحيح الجامع الصغير وزيادته - محمد ناصر الدين الألباني - المكتب الإسلامي - بيروت - دمشق - الطبعة الثانية - ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م .
- صحيح سنن ابن ماجه - محمد ناصر الدين الألباني - إشراف زهير الشاويش - مكتب التربية العربي لدول الخليج - الطبعة الثالثة ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م .
- صحيح مسلم - تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي - الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء - الرياض - بدون .
- عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ - أحمد بن يوسف السمين الحلبي - تحقيق محمد باسل عيون السود - دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة الأولى - ١٤١٧ هـ / ١٩٩٦ م .
- العنف والديمقراطية - عبد الإله بلقزيز - منشورات الزمن - ١٩٩٩ م .
- عون المعبود شرح سنن أبي داود - محمد شمس الحق أبادي - تحقيق عبد الرحمن عثمان - دار الفكر - بيروت - بدون .
- فتح الباري شرح صحيح البخاري - أحمد بن علي بن حجر العسقلاني - ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي - إشراف الشيخ عبد العزيز بن باز - دار الفكر - بيروت .
- فضائل القرآن - أبو عبيد القاسم بن سلام - تحقيق وهبي غاوجي - دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة الأولى - ١٤١١ هـ .
- الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني - أحمد النفرائي - دار الفكر - بيروت - ١٤١٥ هـ .
- القاموس المحيط - مجد الدين الفيروزآبادي - دار الفكر - بيروت - ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م .

- قضايا الإرهاب والعنف والتطرف في ميزان القرآن والسنة - حسن عزوزي - بحث مقدم لمؤتمر موقف الإسلام من الإرهاب المنعقد في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١- ٣ / ٣ / ١٤٢٥ هـ.
- لسان العرب - محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي - المكتبة الفيصلية - مكة المكرمة - دار صادر - بيروت - بدون.
- لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد - موفق الدين عبد الله بن أحمد بن قدامة - تحقيق عبد القادر الأرناؤوط - دار الهدى - الرياض - الطبعة الثالثة - ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م .
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد - علي بن أبي بكر الهيثمي - مؤسسة المعارف - بيروت - ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م.
- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية - جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم - مكتبة ابن تيمية.
- المحجة في سير الدلجة - عبد الرحمن بن رجب - تحقيق يحيى غزاوي - دار البشائر الإسلامية - بيروت - الطبعة الأولى - ١٤٠٤ هـ .
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز - عبد الحق بن غالب بن عطية - تحقيق المجلس العلمي بفاس - توزيع مكتبة ابن تيمية - القاهرة .
- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين - محمد بن أبي بكر بن القيم - دار الفكر العربي - بيروت .
- المستدرك على الصحيحين وحاشيته تلخيص المستدرك للذهبي - أبو عبد الله الحاكم - دار الكتاب العربي - بيروت.
- المسند - أحمد بن حنبل - المكتب الإسلامي - بيروت - الطبعة الخامسة - ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م.
- المسند - أحمد بن حنبل - تحقيق أحمد شاكر - دار المعارف - مصر - ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢ م.
- مسند أبي يعلى - أحمد بن علي أبو يعلى الموصلي - تحقيق حسين سليم أسد -

- دار المأمون للتراث - دمشق - الطبعة الأولى - ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م .
- المصنف - عبد الرزاق بن همام الصنعاني - تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي - المكتب الإسلامي - دمشق - بيروت - الطبعة الثانية ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م.
- معالم التنزيل - الحسين بن مسعود البغوي - دار الفكر - بيروت - ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م .
- معاني القرآن وإعرابه - إبراهيم بن السري الزجاج - تحقيق عبد الجليل عبده شلبي - عالم الكتب - الطبعة الأولى - ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م.
- معجم مقاييس اللغة - ابن فارس - تحقيق عبد السلام هارون - الطبعة الثانية - ١٣٩٢ هـ .
- المفردات في غريب القرآن - الحسين بن محمد الشهير بالراغب الأصفهاني - تحقيق محمد سيد كيلاني - مطبعة مصطفى البابي الحلبي - القاهرة - ١٣٨١ هـ / ١٩٦١ م.
- الموطأ - مالك بن أنس - بعناية محمد فؤاد عبد الباقي - دار إحياء التراث العربي - بيروت - ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م.
- النهاية في غريب الحديث والأثر - المبارك بن محمد بن الأثير - تحقيق طاهر الزاوي ومحمود الطناحي - دار الباز - مكة المكرمة .
- الوسطية في القرآن - علي الصلابي - مكتبة الصحابة - الشارقة - الطبعة الأولى - ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠١ م.